

الأسبوع والمعراج

وآيات الله الكبرى



الأسبوع



جمع وترتيب
من خطب ومخاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

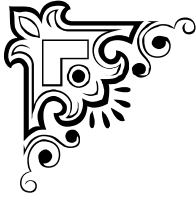
[النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

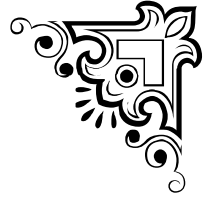
فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:



رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

فِي غَمْرَةِ أَحْزَانِ النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّبِيعَةِ



فَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ تَمَّ بِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِصَارُ الدَّعْوَةِ فِي مَكَّةَ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ كَسْرَ الْحِصَارِ بِثِقَلِ الدَّعْوَةِ إِلَى خَارِجِ مَكَّةَ، فَتَوَجَّهَ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ؛ لِدَعْوَةِ (ثَقِيفِ) إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ وَلَكِنَّهُمْ قَابَلُوهُ بِالسَّفَهِ وَالطَّيْشِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَغْرَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ وَالصَّبِيَّانَ وَالغِلْمَانَ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا عَقْبِيَّهِ.

وَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ مَهْمُومَ النَّفْسِ جَرِيحِ الْفُؤَادِ، لَا لِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَى، فَذَلِكَ أَمْرٌ يَهُونُ؛ وَلَكِنْ خَوْفًا عَلَى الدَّعْوَةِ أَلَّا تَجِدَ مَكَانًا صَالِحًا لَانْتِشَارِهَا؛ فَقَدْ كَانَ ﷺ يَرْجُو مِنْ وَرَاءِ رِحْلَتِهِ الْمُضْنِيَّةِ إِلَى الطَّائِفِ خَيْرًا لِلدَّعْوَةِ، وَمُؤَاوَزَةً لَهَا؛ وَلَكِنَّهُ وَجَدَ أَهْلَ الطَّائِفِ أَسْوَأَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَجْهَلَ وَأَسْفَهَ، وَحَالَ مُشْرِكُو مَكَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ بَلَدِهِ؛ لَوْلَا أَنَّ أَجَارَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ - سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ -، فَتَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِهَا، وَالطَّوَّافِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ^(١).

(١) «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة» (١ / ٤٠٧).

هَا هِيَ قُرَيْشٌ وَقَفَتْ عَقَبَهُ كَوْوِدًا فِي سَبِيلِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَادَتِ الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ، وَلَجَّتْ فِي الْعَدَاوَةِ وَالْإِيذَاءِ وَالْبُهْتَانِ، وَتَجَاوَزَتِ الْحَدَّ فِي الطُّغْيَانِ، فَقَاطَعَتْ كُلَّ مَنْ يَنْتَصِرُ لِلنَّبِيِّ وَلَوْ حَمِيَّةً مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ، كَمَا حَدَّثَ فِي مَسْأَلَةِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي آلَوْا فِيهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مُقَاطَعَةَ بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلَبِ حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدَ مِنْهُمْ مَبْلَغَهُ.

وَهَا هِيَ الْأَحْدَاثُ الْمُحْزِنَةُ تَتَوَالِي؛ فَأَبُو طَالِبٍ شَيْخُ قُرَيْشٍ، وَمَانِعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ، وَنَاصِرُهُ تَنْزِلُ بِهِ الْمَنِيَّةُ، وَيَزِيدُ مِنْ هَوْلِ الْفَجِيعَةِ مَوْتُ السَّيِّدَةِ الْمَهِيْبَةِ فِي قَوْمِهَا خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، زَوْجِهَا الَّتِي وَاسْتَهَ بِنَفْسِهَا وَمَالِهَا، وَالَّتِي كَانَتْ لَهُ وَزِيرَةَ صَدَقَ تَعِينُهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَتُسْرِي عَنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الْبَلَاءِ بِمَا عَهَدَ عِنْدَهَا مِنْ عَقْلِ حَصِيفٍ، وَقَلْبٍ رَحِيمٍ، وَصَدْرٍ حُنُونٍ، وَعِبَارَاتٍ تَغْسِلُ أَثَرَ الْأَلَمِ.

وَتَزْدَادُ إِسَاءَاتُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ، وَتَقِفُ مِنَ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَوْقِفَ الْعِنَادِ وَالْإِبَاءِ وَالْتِمَاعِ، فَيَبْدُو لِلنَّبِيِّ أَنْ يُيَمِّمَ وَجْهَهُ شَطْرَ الطَّائِفِ؛ عَسَى أَنْ يَجِدَ فِيهَا مُتَنَفِّسًا لِلدَّعْوَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَذَهَبَ وَمَعَهُ حُبُّهُ وَمَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى الطَّائِفِ، وَهَنَالِكَ اتَّصَلَ بِرُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ: عَبْدُ يَالِيلٍ وَمَسْعُودٌ وَحَبِيبٌ أَوْلَادِ عَمْرِو بْنِ عَمِيرِ الثَّقَفِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَنُصْرَتَهُ؛ حَتَّى يُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَردُّوا عَلَيْهِ رَدًّا فَيْحًا، وَكَانُوا أَسْوَأَ حَالًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَرَجَى مِنْهُمْ أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَهُ مَعَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ؛ حَتَّى لَا يَشْتَدَّ إِيْذَاؤُهُمْ لَهُ، فَمَا وَجَدَ مِنْهُمْ مُرُوءَةً وَلَا عَهْدًا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُنْفَهَاءَهُمْ وَصَبِيَانَهُمْ يَرْجُمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ الزَّكِيُّ مِنْ عَقْبِيهِ، وَزَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْرَأُ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَقَفَلَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ مَهْمُومٌ النَّفْسِ، مَكْلُومٌ الْفُؤَادِ، وَفِي الطَّرِيقِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكَ الْجِبَالِ لِيَأْمُرَهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ، وَأَخْبَرَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ أَنْ لَوْ شَاءَ أَطَبَقَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَيْنِ.

فَقَالَ عليه السلام: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (١).

«وَفِي هَذِهِ الْغَمْرَةِ مِنَ الْمَاسِي وَالْأَحْزَانِ، وَصُدُودِ الْقَوْمِ عَنِ الْإِيمَانِ، وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ وَالطَّرِيقِ، وَبَعْدَ هَذِهِ الشَّدَائِدِ الْمُتَمَلِّحَةِ كَانَتْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعَبْدِهِ وَخَلِيلِهِ مُحَمَّدٍ أَنْ يُسَرِّيَ عَنْ نَفْسِهِ الْجَرِيحَةَ، وَفُؤَادِهِ الْمَحْزُونِ، فَكَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؛ حَيْثُ شَاهَدَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى مَا شَاهَدَ، وَعَايَنَ مِنْ أَمَارَاتِ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِهِ وَبِدَعْوَتِهِ مَا زَادَهُ يَقِينًا إِلَى يَقِينٍ؛ بِنَجَاحِ دَعْوَتِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ، وَالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَأَطْلَعَهُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ مَلَكُوتِهِ الْعَظِيمِ عَلَى مَا أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِمَّا مَلَأَ النَّفْسَ رِضًا، وَالْقَلْبَ نُورًا، وَالصَّدْرَ ثَلَجًا وَطَمَأْنِينَةً» (٢). (*)

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣١٢/٦ و ٣١٣، رقم (٣٢٣١)، ومسلم في

«الصحیح»: ٣/١٤٢٠ و ١٤٢١، رقم (١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٢) بتصرف يسير من: «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة» (١/٤٠٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «فِي رِحَابِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبٍ

فَجَاءَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ تَثْبِيْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَتَكْرِيْمًا لَهُ فِي أَعْقَابِ سِنِينَ طَوِيْلَةٍ مِنَ الدَّعْوَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِيْنَ،
وَاضْطِهَادِهِمْ، وَنُكْرَانِهِمْ، وَجَفَائِهِمْ.

كَأَفَّا اللَّهُ -تَعَالَى- رَسُولَهُ ﷺ، وَسَرَّى عَنْهُ بِرِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، فَارَاهُ
مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى مَا جَعَلَ قَلْبَهُ ﷺ يَطِيْبُ وَيَطْمَئِنُّ وَيَثْبُتُ، وَيُنْكَشِفُ عَنْهُ مَا أَلَمَّ
بِهِ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنٍ وَأَسَى بَعْدَ وَفَاةٍ عَمَّهُ وَزَوْجَتِهِ ﷺ، وَمَا لَاقَاهُ مِنْ إِعْرَاضِ قَوْمِهِ
عَنْ دَعْوَتِهِ ﷺ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يُحْزِنُهُ الْإِيذَاءُ الشَّخْصِيَّ لَهُ ﷺ، إِنَّمَا
الَّذِي كَانَ يُحْزِنُهُ ﷺ وَيَكَادُ يَقْتُلُهُ حُزْنًا هُوَ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الدَّعْوَةِ وَرَفْضُهُمْ لَهَا؛
رَحْمَةً مِنْهُ ﷺ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ.

لِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لَهُ ﷺ: ﴿فَلْعَلَّكَ بَنَجٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا﴾ [٦] ﴿لَعَلَّكَ بَنَجٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٢] ﴿
[الشعراء: ٣].

﴿بَنَجٌ نَفْسَكَ﴾ أَي: قَاتِلَهَا حُزْنًا وَكَمْدًا. (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (المُحَاضَرَةُ ٢١)، الخَمِيْسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠ هـ

ثُبُوتُ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَمَّا ثُبُوتُهَا بِالْقُرْآنِ؛ فَفِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]. (*) .

تَنَزَّهَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- تَنَزِيهًا عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَكَمَالِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَكَمَالِ أَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.

فَهُوَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْكَامِلِ فِي عِبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ فِي جُزْءٍ قَلِيلٍ مِنَ اللَّيْلِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ، يَقْظَةً لَا مَنَامًا، مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ ﷻ مَكَانَهُ آمِنًا مَّمنوعًا بِالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ وَالْأَمْرِ التَّكْلِيفِيِّ، إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَبْعَدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، الَّذِي جَعَلْنَا فِيهِ وَحَوْلَهُ بَرَكَاتٍ مَادِيَةً مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَمَعْنَوِيَّةً مِنْ عَطَاءَاتِنَا، وَجَعَلْنَاهُ مَقَرَّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ. (*) (٢/).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠ هـ |

١٣-٩-٢٠١٨ م.

(*) (٢/) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة الإسراء: ١].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْنُونَهُ، عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ [النجم: ١-١٨].

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ : أَقْسَمَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالنَّجْمِ الْمُضِيِّ اللَّامِعِ فِي السَّمَاءِ إِذَا سَقَطَ مُنْقَضًا مِنْ عَلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ! مَا ضَاعَ صَاحِبُكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ - ذُو قَصْدٍ وَلَا تَعَمُّدٍ - عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ، وَمَا تَنَكَّبَ طَرِيقَ الرُّشْدِ عَنْ قَصْدٍ وَتَعَمُّدٍ اتِّبَاعًا لِهَوَىٰ نَفْسِهِ، وَهُوَ مَنْ تَعْرِفُونَ - لِطَوْلِ صُحْبَتِكُمْ لَهُ - اتِّصَافَهُ بِغَايَةِ الْهُدَىٰ وَالرُّشَادِ.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ : وَلَا يَنْطِقُ بِمَا يَنْطِقُ بِهِ صَادِرًا عَنْ تَوْجِيهِ الْهَوَىٰ وَتَأْتِيرِهِ، مَا الْقُرْآنُ إِلَّا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، عَلَّمَهُ هَذَا الْوَحْيِ مَلَكٌ شَدِيدُ الْقُوَىٰ، ذُو إِحْكَامٍ وَإِتْقَانٍ، وَمُمَارَسَةٍ وَخِبْرَةٍ فِي التَّعْلِيمِ تَعْتَمِدُ عَلَى الْمُعَالَجَةِ الْحَكِيمَةِ، وَاسْتِخْدَامِ مُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَوَصَلَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَىٰ مُسْتَوَى الْإِسْتِوَاءِ الْكَامِلِ فِي التَّعْلَمِ.

وَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ ﷺ عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَالْحَالُ أَنَّ جِبْرِيلَ ظَاهِرٌ بِالْجِهَةِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ.

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾:
 وَبَعْدَ مُدَّةٍ مُّتْرَاحِيَةٍ قَرَّبَ جِبْرِيلُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، فَزَادَ فِي الْقُرْبِ، فَكَانَ دُنُوهُ قَدْرَ
 قَوْسَيْنِ؛ بَلْ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْرَبُ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ عَبْدِهِ جِبْرِيلَ مَلَكِ
 الْوَحْيِ الْأَمِينِ الْوَحْيِ نَفْسَهُ الَّذِي أَوْحَاهُ جِبْرِيلُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ.
 ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾: مَا كَذَبَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا رَأَىٰ بِعَيْنَيْهِ لَيْلَةَ
 الْمِعْرَاجِ.

﴿أَفْتَمْرُوهُ، عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ
 لِرُسُولِنَا فِيمَا يَرَاهُ رُؤْيَا حَقٍّ، فَتُجَادِلُونَهُ بِالْبَاطِلِ، حَرِيصِينَ عَلَىٰ إِنْكَارِ مَا يَرَىٰ
 وَتَكْذِيبِهِ فِيهِ؟! ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ
 ﴿١٥﴾﴾: وَأَوْكَدَ لَكُمْ تَأْكِيدًا بَلِيغًا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي صُورَتِهِ
 الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ شَجَرَةٍ نَبَقَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،
 يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، عِنْدَ سِدْرَةِ
 الْمُنْتَهَىٰ جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ، وَتَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ فِي النَّزْلَةِ الْأُخْرَىٰ
 عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، حِينَ كَانَ يُجَلِّلُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ وَيُعْطِيهَا مِنْ نُورِ الْخَلَاقِ
 وَالْمَلَائِكَةِ مَا لَا يَعْلَمُ وَصَفَهُ إِلَّا اللَّهُ -تَعَالَىٰ-.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾: مَا اضْطَرَبَ بَصَرُ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا انْحَرَفَ فِي
 ذَلِكَ الْمَقَامِ وَفِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَمَا زَادَ فِي الرُّؤْيَةِ عَلَىٰ
 الْحَقِيقَةِ شَيْئًا.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨): أَوْكَدَ تَأْكِيدًا بَلِيغًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ رُؤْيَا حَسِيَّةً بَصْرِيَّةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. (*)

آيَاتُ الْمِعْرَاجِ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ [النجم: ١-٢].

أَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّجْمِ حِينَ هَوِيَّهِ؛ فَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَيُّ: لِلْهُوِيِّ حِينَ الْغُرُوبِ؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي فِي الْأَفْقِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: حِينَ انْطِلَاقِهِ لِيَضْرِبَ مُسْتَرِقَ السَّمْعِ، وَيَكُونُ فِي هَذَا إِشَارَةً إِلَى حِمَايَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- لِلْوَحْيِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَصَحُّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ [النجم: ١-٢].

(ضَلَّ) أَيُّ: خَالَفَ الْحَقَّ عَنْ جَهْلٍ، وَ(غَوَى): خَالَفَ الْحَقَّ عَنْ عَمْدٍ، وَ(صَاحِبُكُمْ): هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنْ قَوْلِهِ: مَا ضَلَّ مُحَمَّدٌ، أَوْ: مَا ضَلَّ النَّبِيُّ، أَوْ: مَا ضَلَّ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى بِلَاهَتِهِمْ وَحُمَقِهِمْ؛ كَأَنَّمَا يَقُولُ: مَا ضَلَّ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ، وَهُوَ صَاحِبُكُمْ نَشَأَ بَيْنَكُمْ، وَعَرَفْتُمْ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَالصَّاحِبُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِصَاحِبِهِ؛ فَقَدْ يَعْلَمُ الصَّاحِبُ مِنْ صَاحِبِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْقَرِيبُ مِنْ قَرِيبِهِ، فَهَذَا صَاحِبُكُمْ؛ فَكَيْفَ تَقُولُونَ إِنَّهُ ضَلَّ!!؟

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «التَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة النجم: ١-١٨].

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣]، وَلَمْ يَقُلْ: مَا يَنْطِقُ بِالْهَوَىٰ؛ أَي: مَا يَنْطِقُ بِالْهَوَىٰ الَّذِي يُرِيدُ، بَلْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣]؛ يَعْنِي: لَا يَنْطِقُ نُطْقًا صَادِرًا عَنِ هَوَىٰ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ نُطْقًا صَادِرًا عَنْ وَحْيٍ، أَوْ عَنْ اجْتِهَادٍ أَرَادَ بِهِ الْمَصْلَحَةَ، لَا لِمُجَرَّدِ الْهَوَىٰ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا عَظِيمٌ.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ أَي: نُطْقُهُ ﴿ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٤]، وَالْمُرَادُ بِالضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ الْقُرْآنُ خَاصَّةً؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥]، وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي عَلَّمَ الْقُرْآنَ: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿ [النجم: ٥-٦]، (الْمِرَّةُ): الْهَيْئَةُ الْحَسَنَةُ.

فَوَصَفَهُ بِالْقُوَّةِ وَالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ، وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْقُوَّةُ وَالْحُسْنُ وَالْبَهَاءُ وَالْجَمَالُ فَذَلِكَ هُوَ الْكَمَالُ.

ثُمَّ وَصَفَهُ بِوَصْفٍ ثَالِثٍ، وَهُوَ عُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ، فَقَالَ: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾ ﴿ ٦ ﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿ [النجم: ٦-٧].

(اسْتَوَى): أَي: كَمُلَ، يَعْنِي: كَانَ عَلَى خَلْقَتِهِ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى؛ فَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَلْقَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَوْقَ، وَمَرَّةً فِي الْأَرْضِ رَأَى ﷺ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ مِنْ شَرْقِهِ إِلَى غَرْبِهِ، وَمِنْ شِمَالِهِ إِلَى جَنُوبِهِ، يَعْنِي: غَيْمَةٌ وَاحِدَةٌ سَدَّتِ الْأُفُقَ (١).

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ [النجم: ٨].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٤).

﴿دَنَا﴾ أَي: قَرَبَ، وَالْمَقْصُودُ: ذُو الْمِرَّةِ، وَهُوَ جِبْرِيلُ، ﴿فَدَلَّكَ﴾ ﴿٨﴾: وَالتَّدْلِي: النَّزُولُ مِنْ فَوْقَ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿٩﴾ [النجم: ٩]: كَانَ جِبْرِيلُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ [النجم: ١٠] أَي: أَوْحَىٰ جِبْرِيلُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ ﴿١٠﴾ أَي: عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ أَي: الْقُرْآنَ، وَأَبْهَمَهُ تَعْظِيمًا لَهُ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ هَذَا تَحْصِيلٌ حَاصِلٌ، وَلَكِنْ يُقَالُ: هَذَا الْإِبْهَامُ لِلتَّعْظِيمِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ ﴿٧٨﴾ [طه: ٧٨]، وَهَذَا لِلتَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا غَشِيَهُمْ هُوَ مَا غَشِيَهُمْ، لَكِنْ جَاءَ بِصُورَةِ الْإِبْهَامِ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ.

أَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ شَيْئًا عَظِيمًا مِنَ الْوَحْيِ.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿١١﴾ [النجم: ١١]: الْفُؤَادُ مَا كَذَبَ الَّذِي رَأَىٰ، بَلْ رَأَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ صِدْقًا وَحَقًّا، ﴿أَفْتَمَرُوهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ﴿١٢﴾ [النجم: ١٢]: أَفْتَجَادِلُونَهُ عَلَىٰ شَيْءٍ رَأَهُ بِعَيْنِهِ وَقَلْبِهِ.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ [النجم: ١٣]: رَأَىٰ جِبْرِيلَ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي الْأُفُقِ نَازِلًا ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿١٤﴾ [النجم: ١٤]، وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي رَأَهُ عَلَىٰ خَلْقَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ [النجم: ١٥]: عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَّهَىٰ جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ - جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ سَاكِنِيهَا -، ﴿إِذْ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى﴾ ﴿١٦﴾ [النجم: ١٦] يَعْنِي: رَأَهُ حِينَ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى، وَهُنَا - أَيْضًا - إِبْهَامٌ لِلتَّعْظِيمِ؛ مَا الَّذِي غَشِيَهَا؟

غَشِيهَا مِنَ الْبَهَاءِ وَالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ مَا يَبْهَرُ الْعُقُولَ، فَهِيَ فِي الْأَوَّلِ شَجْرَةٌ كَأَنَّهَا سِدْرَةٌ؛ لَكِنَّ غَشِيَهَا جَمَالٌ عَظِيمٌ يَبْهَرُ الْعُقُولَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ وَاللَّيْلَةُ وَالنَّيْلَةُ.

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧] أَي: مَا مَالَ الْبَصَرُ وَمَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ، فَهُوَ لَمْ يَذُرْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ أَمَامًا وَلَا فَوْقًا؛ وَذَلِكَ لِكَمَالِ أَدَبِهِ ﷺ وَالنَّيْلَةُ.

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨].

هَذِهِ هِيَ آيَاتُ الْمِعْرَاجِ.

أَمَّا عَنْ آيَاتِ الْإِسْرَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]. (*)

«يُنزَّهُ -تعالى- نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ وَيُعْظَمُهَا؛ لِأَنَّ لَهُ الْأَفْعَالَ الْعَظِيمَةَ وَالْمِنَنَ الْجَسِيمَةَ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا: أَنَّهُ أَسْرَى بِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَسَاجِدِ الْفَاضِلَةِ، وَهُوَ مَحَلُّ الْأَنْبِيَاءِ.

فَأَسْرَى بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَدًّا، وَرَجَعَ فِي لَيْلَتِهِ، وَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَزْدَادُ بِهِ هُدًى وَبَصِيرَةً وَثَبَاتًا وَفُرْقَانًا، وَهَذَا مِنْ اعْتِنَائِهِ -تعالى- بِهِ وَلُطْفِهِ؛ حَيْثُ يَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَخَوْلَهُ نِعْمًا فَاقَ بِهَا الْأَوَّلِينَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضِرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ

الثَّانِي ١٤٣١هـ | ١٨-٣-٢٠١٠م.

وَالْآخِرِينَ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَنَّهُ مِنْ نَفْسِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ لَكِنْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْفَضِيلَةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِسَائِرِ الْحَرَمِ، فَكُلُّهُ تَتَضَاعَفُ فِيهِ الْعِبَادَةُ كَتَضَاعُفِهَا فِي نَفْسِ الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْإِسْرَاءَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ مَعًا؛ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ كُبْرَى وَمَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَقَدْ تَكَثَّرَتِ الْأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِسْرَاءِ، وَذَكَرَ تَفَاصِيلَ مَا رَأَى، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنْ هُنَاكَ إِلَى السَّمَاوَاتِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَرَأَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ، ثُمَّ مَا زَالَ يُرَاجِعُ رَبَّهُ بِإِشَارَةِ مُوسَى الْكَلِيمِ حَتَّى صَارَتْ خَمْسًا بِالْفِعْلِ، وَخَمْسِينَ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَحَازَ مِنَ الْمَقَاحِرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ هُوَ وَأُمَّتُهُ مَا لَا يَعْلَمُ مَقْدَارَهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ.

وَذَكَرَهُ هُنَا وَفِي مَقَامِ الْإِنْزَالِ لِلْقُرْآنِ وَمَقَامِ التَّحْدِي بِصِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ نَالَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الْكِبَارَ بِتَكْمِيلِهِ لِعُبُودِيَّةِ رَبِّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أَي: بِكَثْرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْخِصْبِ الدَّائِمِ، وَمِنْ بَرَكَتِهِ: تَفْضِيلُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ سِوَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ يُطَلَّبُ شَدُّ الرَّحْلِ إِلَيْهِ لِلْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ فِيهِ، وَأَنَّ اللَّهَ اخْتَصَّهُ مَحَلًّا لِكَثِيرٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ»^(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص: ٥٢٦) للسعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ فَصَّلَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْدَاثَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْمُبَارَكَةِ تَفْصِيلاً دَقِيقًا بِمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ دَحِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ «التَّنْوِيرُ فِي مَوْلِدِ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ» فِيَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الرَّوَايَاتُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْطٍ، وَأَبِي حَبَّةَ وَأَبِي لَيْلَى الْأَنْصَارِيِّينَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرٍ، وَحُدَيْفَةَ، وَبُرَيْدَةَ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَبِي أَمَامَةَ، وَسَمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ، وَأَبِي الْحَمْرَاءِ، وَصُهَيْبَ الرُّومِيِّ، وَأُمَّ هَانِيَةَ، وَعَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ ابْنَتَيْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهُ بِطُولِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَهُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي الْمَسَانِيدِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رِوَايَةٌ بَعْضُهُمْ عَلَى شَرْطِ الصَّحَّةِ؛ فَحَدِيثُ الْإِسْرَاءِ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَاعْتَرَضَ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ الْمُلْحِدُونَ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ [الصَّفِّ: ٨] (١).



(١) «اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون» (١ / ٤٥٨ - ٤٥٩).

الْمَقْصُودُ بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

«يُقْصَدُ بِالْإِسْرَاءِ هُنَا: الرَّحْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِالْقُدْسِ.

أَمَّا الْمِعْرَاجُ: فَهُوَ مَا أَعْقَبَ هَذِهِ الرَّحْلَةَ مِنَ الْعُرُوجِ بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى حَتَّى الْوُصُولِ إِلَى مُسْتَوَى تَنْقَطِعُ عِنْدَهُ عُلُومُ الْخَلَائِقِ» (١). (*) .

الْمِعْرَاجُ: مِفْعَالٌ مِنَ الْعُرُوجِ، وَهِيَ آلَةُ الْعُرُوجِ، يَعْنِي: الْآلَةُ الَّتِي يَعْرُجُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنَ أَسْفَلِ إِلَى أَعْلَى.

وَالْمِعْرَاجُ مِنْ خَصَائِصِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ إِلَّا رُوحَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى اللَّهِ ﷻ سَمَاءً فَسَمَاءً، وَالْمَلَائِكَةُ شَأْنُهُمْ شَأْنٌ آخَرُ.

وَالْمِعْرَاجُ: هُوَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ ﷺ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، إِلَى أَنْ بَلَغَ مَكَانًا سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ أَقْلَامِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَالْقَلَمُ إِذَا كُتِبَ بِهِ سُمِعَ لَهُ

(١) «اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون» (١ / ٤٥٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠ هـ |

صَوْتُ، فَهُوَ ^{صَلَّى} وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ صَعِدَ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَدْ صَعِدَ ^{صَلَّى} إِلَى مَكَانٍ مَا بَلَغَهُ - فِيمَا نَعْلَمُ - أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ. (*)

وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ فِي سُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، فَذَكَرَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ فِي (سُورَةِ الْإِسْرَاءِ)، فَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) [الإسراء: ١].

وَذَكَرَ - سُبْحَانَهُ - قِصَّةَ الْمِعْرَاجِ فِي (سُورَةِ النَّجْمِ)، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَ هَاجِئَةِ الْمَأْوَى (١٥) إِذِغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾ [النجم: ١٣-١٨] (٢). (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضِرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٣١هـ | ١٨-٣-٢٠١٠م.

(٢) «اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون» (١ / ٤٥٨).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ | ١٣-٩-٢٠١٨م.

مَعَانِي الإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ الْعَمِيقَةُ وَمَرَامِيهَا الْبَعِيدَةُ

«لَمْ يَكُنِ الإِسْرَاءُ مُجَرَّدَ حَدِيثٍ فَرْدِيٍّ رَأَى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الآيَاتِ الْكُبْرَى، وَتَجَلَّى لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُشَاهِدَةً وَعِيَانًا؛ بَلْ زِيَادَةً إِلَى ذَلِكَ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّحْلَةَ النَّبَوِيَّةَ الْغَيْبِيَّةَ عَلَى مَعَانٍ عَمِيقَةٍ دَقِيقَةٍ كَثِيرَةٍ، وَإِشَارَاتٍ حَكِيمَةٍ بَعِيدَةٍ الْمَدَى.

وَأَعْلَنْتِ السُّورَتَانِ الْكَرِيمَتَانِ اللَّتَانِ نَزَلَتَا فِي شَأْنِهِ -وَهُمَا: سُورَةُ الإِسْرَاءِ، وَسُورَةُ النَّجْمِ- أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ نَبِيُّ الْقِبْلَتَيْنِ، وَإِمَامُ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ، وَوَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَإِمَامُ الْأَجْيَالِ بَعْدَهُ؛ فَقَدْ التَقَّتْ فِيهِ وَفِي إِسْرَائِهِ مَكَّةَ بِالْقُدْسِ، وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَصَلَّى الْأَنْبِيَاءَ خَلْفَهُ، فَكَانَ هَذَا إِيْذَانًا بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ، وَخُلُودِ إِمَامَتِهِ وَإِنْسَانِيَّتِهِ وَتَعَالِيْمِهِ، وَصَلَاحِيَّتِهَا لِاخْتِلَافِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ.

وَأَفَادَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ تَعْيِينَ شَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَصْفَ إِمَامَتِهِ وَقِيَادَتِهِ، وَتَحْدِيدَ مَكَانَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي بُعِثَ فِيهَا وَآمَنَتْ بِهِ، وَبَيَانَ رِسَالَتِهَا وَدَوْرَهَا الَّذِي سَتُمَثِّلُهُ فِي الْعَالَمِ وَبَيْنَ شُعُوبِ الْعَالَمِ وَأُمَّمِهِ.

وَجَاءَ الإِسْرَاءُ خَطًّا فَاصِلًا بَيْنَ النَّاحِيَةِ الضَّيِّقَةِ الْمَحَلِّيَّةِ الْمُؤَقَّتَةِ وَبَيْنَ الشَّخْصِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْخَالِدَةِ الْعَالَمِيَّةِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَوْ كَانَ زَعِيمَ أُمَّةٍ، أَوْ قَائِدًا

إقليم، أو مُنقِذَ عُنُصُرٍ، أو مُؤَسَّسَ مَجْدٍ؛ مَا كَانَ فِي حَاجَةِ إِلِيَّ الْإِسْرَاءِ
وَالْمِعْرَاجِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةِ إِلِيَّ سِيَاحَةٍ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
حَاجَةِ إِلِيَّ أَنْ تَتَّصِلَ بِسَبَبِهِ الْأَرْضُ بِالسَّمَاءِ اتِّصَالًا جَدِيدًا.

لَقَدْ كَانَ لَهُ فِي أَرْضِهِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا وَفِي مُحِيطِهِ الَّذِي يُكَافِحُ فِيهِ وَفِي
مُجْتَمَعِهِ الَّذِي يَسْعَى لِإِسْعَادِهِ غِنًى وَسَعَةً، لَا يُفَكِّرُ فِي غَيْرِهِ، وَلَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَيَّ
رُقْعَةً أُخْرَى مِنَ الْأَرْضِ؛ فَضْلًا عَنِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَسِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَفَضْلًا
عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي يَبْعُدُ عَنْ بَلَدِهِ بَعْدًا كَبِيرًا، وَالَّذِي كَانَ فِي وِلَايَةِ
الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَحُكُومَةِ الْأُمَّةِ الرُّومِيَّةِ الْقَوِيَّةِ.

وَجَاءَ الْإِسْرَاءُ وَأَعْلَنَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ مِنْ طَرَازِ الْقَادَةِ وَالزُّعَمَاءِ الَّذِينَ
لَا تَتَجَاوَزُ مَوَاهِبُهُمْ وَجُهُودُهُمْ وَدَوَائِرُ كِفَاحِهِمْ حُدُودَ الشُّعُوبِ وَالْبِلَادِ، وَلَا
تَسْعُدُ بِهِمْ إِلَّا الشُّعُوبُ الَّتِي يُوَلِّدُونَ فِيهَا، وَالْبَيْتَاتُ الَّتِي يَنْبَعُونَ مِنْهَا.

إِنَّمَا هُوَ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ إِلَيَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِينَ، وَيَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ الْخَالِقِ إِلَيَّ الْخَلْقِ، وَتَسْعُدُ
بِهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ عَلَى اخْتِلَافِ شُعُوبِهَا، وَطَبَقَاتِهَا، وَعُهُودِهَا، وَأَجْيَالِهَا.

إِنَّمَا هُوَ مِنَ الصَّفْوَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ
رِسَالَاتِ السَّمَاءِ إِلَيَّ الْأَرْضِ، وَيَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ الْخَالِقِ إِلَيَّ الْخَلْقِ، وَتَسْعُدُ
بِهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ عَلَى اخْتِلَافِ شُعُوبِهَا، وَطَبَقَاتِهَا، وَعُهُودِهَا، وَأَجْيَالِهَا»^(١).



(١) «السيرة النبوية» (ص: ٢١٨-٢١٩).

قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ رَوَاهَا الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»^(١)، كَمَا رَوَاهَا
غَيْرُهُمَا مِنْ أئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ مَالِكَ بْنَ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه
حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ، قَالَ صلوات الله وسلامته عليه: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي
الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا..».

فِي رِوَايَةٍ: «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ؛ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ - الْقَدُّ: هُوَ الْقَطْعُ طَوْلًا؛
كَالشَّقِّ - قَالَ: فَقَدَّ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ».

قَالَ: فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهَذَا؟ أَوْ مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: «مِنْ
ثُغْرَتِي - وَالثُّغْرَةُ: هِيَ ثُقْرَةُ النَّحْرِ فَوْقَ الصَّدْرِ - مِنْ ثُقْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - يُرِيدُ
شَعْرَ الْعَانَةِ -، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغَسَلَ
قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضٌ..».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ: بَابُ الْمِعْرَاجِ، (٣٨٨٧)،
وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٦٤).

فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: «هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟».

قَالَ أَنَسٌ: «نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ، وَكَانَ مُسْرَجًا مُلَجَّمًا، فَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْكَبَهُ اسْتَضْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ ﷺ: أِبْمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ! قَالَ: فَارْفَضَ عَرَقًا - أَيَّ: جَرَى عَرَقُهُ وَسَالَ-، ثُمَّ سَكَنَ وَانْقَادَ، وَتَرَكَ الْإِسْتِضْعَابَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ - يَعْنِي: الْبُرَاقَ - حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ النَّبِيِّ يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ» (١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

رَأَى النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْضَ الْمَرَائِي، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: «أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَى عَفْرِيَّتًا مِنْ الْجِنِّ يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا التَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ؛ إِذَا قُلْتَهُنَّ طُفِئَتْ شُعْلَتُهُ، وَخَرَّ لِفِيهِ - أَيَّ: لِفَمِهِ-، وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ؟».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى».

فَقَالَ جَبْرِيلُ: «قُلْ: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَشَرِّ

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَشَرَّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» مُرْسَلًا، وَوَصَلَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَصَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيحَةِ».

فَهَذَا مَشْهَدٌ مِنَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي رَأَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

مَشْهَدٌ ثَانٍ؛ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ الدَّجَالَ: رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ جَاءَ

(١) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ»: (٢/ ٩٥٠، رقم ١٠)، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ مُرْسَلًا، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٣/ ٤٢٠، رقم ١٥٤٦٠)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «الْمُسْنَدِ»: (١٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨، رقم ٦٨٤٤)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ»: (٥/ ٥١، رقم ٢٣٦٠١)، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: قُلْتُ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشِ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ كَادَتُهُ الشَّيَاطِينُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَالشَّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةٌ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيْلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: «مَا أَقُولُ؟» قَالَ: «قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ»، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٦/ ١٢٥٠، رقم ٢٩٩٥).

وَرَوَى عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما.

مِنْ لَيْلَتِهِ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ، فَقَالَ: وَرَأَى الدَّجَالَ فِي صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُهُ فَيَلْمَانِيَا - أَي: عَظِيمَ الْجُنَّةِ -، أَقَمَرَ - أَي: شَدِيدَ الْبَيَاضِ -، هِجَانًا - أَي: أَبْيَضَ -، إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ، كَانَ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ» (١). أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَأُورَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ (٢)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

مَشْهُدٌ ثَالِثٌ؛ «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمٍ تَقَرَّضَ أَلْسِنَتَهُمْ وَشَفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَبْرِيلُ! مَنْ هُوَ لَاءِ؟».

قَالَ: «هُوَ لَاءِ خُطْبَاءٍ مِنْ أُمَّتِكُمْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ؛ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!» (٣). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّيَالِسِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

«وَكُشِفَ لَهُ ﷺ عَنْ حَالِ آكِلِ الرَّبَا فِي دَارِ الْجَزَاءِ بِضَرْبِ مِثَالٍ، فَرَأَى رَجُلًا يَسْبُحُ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١/ ٣٧٤، رقم ٣٥٤٦)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «الْمُسْنَدِ»: (١٠٨/٥، رقم ٢٧٢٠).

وَالْحَدِيثَ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ»: (ص ٧٦).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»: (٥/ ٢٨).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٣/ ٥٣٩، رقم ٢١٧٢)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»:

(٣/ ٢٣١، رقم ١٣٤٢١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثَ صَحَّحَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١/ ٥٨٥، رقم ٢٩١).

قَالَ: «هَذَا أَكَلِ الرَّبَّاءِ» (١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

مَشْهُدٌ آخَرٌ؛ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ أَوْ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُثَيْبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ» (٢).

ثُمَّ وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى - الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى هُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، سُمِّيَ الْأَقْصَى؛ لِبُعْدِهِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْمَسَافَةِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ، وَالْمَقْدِسُ: أَيِ الْمُطَهَّرُ، وَلَبَّيْتَ الْمَقْدِسِ عِدَّةَ أَسْمَاءٍ مِنْهَا: إِيْلِيَاءُ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَغَيْرُهَا.

وَصَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَجَدَ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ جُمِعُوا لَهُ، فَقَدَّمَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَّسُولَ (ص)، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ» (٣). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١٥/٥)، رَقْم (٢٠١٦٥)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»:

كِتَابُ الْبُيُوعِ: بَابُ أَكَلِ الرَّبَّاءِ وَشَاهِدُهُ وَكَاتِبُهُ... (٢٠٨٥)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي

«الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الرُّؤْيَا، (٢٢٧٥)، مُخْتَصَرًا، مِنْ حَدِيثِ: سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْفَضَائِلِ، (٢٣٧٥).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٢).

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ» (١).

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَسَلَّمَ أُوتِيَ بِقَدَحَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِيهِ لَبَنٌ، وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ.

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ» (٢).

الْحِكْمَةُ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْخَمْرِ مَعَ كَوْنِهِ حَرَامًا، وَاللَّبَنِ مَعَ كَوْنِهِ حَلَالًا؛ إِمَّا لِأَنَّ الْخَمْرَ - حِينَئِذٍ - لَمْ تَكُنْ حُرْمَتًا، وَهَذَا مَعْلُومٌ؛ فَإِنَّمَا جَاءَ التَّحْرِيمُ بِأَخْرَعَةٍ، أَوْ لِأَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَخَمْرُ الْجَنَّةِ لَيْسَتْ حَرَامًا.

قَالَ: «فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ».

فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١/٢٥٧، رقم ٢٣٢٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَعْثِ

وَالنُّشُورِ»: (ص ١٤٦، رقم ١٨٨).

(٢) سَبَقَ وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ^(١): «فَسَرُّوا الْفِطْرَةَ هُنَا بِالْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَمَعْنَاهُ: اخْتَرْتَ
عَلَامَةَ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَجُعِلَ اللَّبَنُ عَلَامَةً؛ لِكَوْنِهِ سَهْلًا طَيِّبًا طَاهِرًا سَائِغًا
لِلشَّارِبِينَ».

ثُمَّ صُعِدَ بِهِ ﷺ فِي الْمِعْرَاجِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، قَالَ رَسُولُ ﷺ: «ثُمَّ أَخَذَ
بِيَدِي -أَيَّ: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَعَرَّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ.

فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ.

قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَقَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَفُتِحَ لَنَا، قَالَ ﷺ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَنْ يَمِينِهِ
أَسْوَدَةٌ -الْأَسْوَدَةُ: هِيَ الْأَشْخَاصُ-، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ
ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟

(١) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: (٢/٢١٢).

قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ - النَّسَمُ: جَمْعُ نَسَمَةٍ، وَهِيَ الرُّوحُ -، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى»^(١).
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟

قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٢).

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟
قَالَ: جِبْرِيلُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الصَّلَاةِ: بَابُ كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ فِي

الإِسْرَاءِ؟، (٣٤٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٦٣)، مِنْ حَدِيثِ:

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٣/٢٢٤)، رَقْمَ (١٣٣٤٠)، أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: كِتَابُ

الْأَدَبِ: بَابُ فِي الْغَيْبَةِ، (٤٨٧٨).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: (٣/٧٩)، رَقْمَ (٢٨٣٩).

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِأَبْنِي الْخَالَةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، وَعَيْسَى

ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يَحْيَى وَعَيْسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ:

مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

قَالَ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ

أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ الْعَلِيِّ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ - أَي: نِصْفَهُ، فَأُعْطِيَ وَحْدَهُ نِصْفَ الْحُسْنِ كُلِّهِ، وَوُزِعَ النِّصْفُ الْبَاقِي عَلَى الْجَمِيعِ، وَأَنْتَ تَرَى فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ حَسَنٌ؛ بَلْ هُوَ أَحْسَنٌ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ أُوتِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ؟! وَنَبِينَا أَحْسَنُ-.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ الْعَلِيِّ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

قَالَ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيْلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيْلُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٧)، وَمُسْلِمٌ: (١٦٤)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، مِنْ رِوَايَةِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى الْكَافِرِ، قَالَ جِبْرِيلُ الْكَافِرِ
لِلرَّسُولِ ﷺ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرَحَبًا
بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ».

وَصَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوسَى الْكَافِرَ فَقَالَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِبِي عَلَى
مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ الْكَافِرِ رَجُلٍ آدَمٍ - وَالْأَدَمَةُ أَيُّ: السُّمْرَةُ الشَّدِيدَةُ -، طَوَالَ جَعْدٍ -
قِيلَ فِي الْمَعْنَى: هُوَ اكْتِنَازُ الْجِسْمِ وَاجْتِمَاعُهُ، وَقِيلَ: بَلْ جُعُودَةُ الشَّعْرِ -، كَأَنَّهُ
مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَمَّا تَجَاوَزْتُهُ بَكَيْ، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا
مِنْ أُمَّتِي».

قَالَ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ الْكَافِرَ، فَقِيلَ:
مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ^(١).

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»^(٢) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ - وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ -»

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣٤٩)، وَمُسْلِمٌ: (١٦٣)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، مِنْ رِوَايَةِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٤١٩/٥، رقم ٢٣٥٥٢)، مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: «مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مَرَّ أُمَّتِكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (١).

وَاخْتَلَفَ فِي الْحِكْمَةِ فِي اخْتِصَاصِ كُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ بِالسَّمَاءِ الَّتِي تَلَقَّاهُ بِهَا، فَقِيلَ: أَمُرُوا بِمَلَفَاتِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَهُ فِي أَوَّلِ وَهْلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَحِقَ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَاتَهُ.

وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي الْإِقْصَارِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ: لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَا سَيَقَعُ لَهُ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ نَظِيرِ مَا وَقَعَ لِكُلِّ مِنْهُمْ.

فَأَمَّا آدَمُ عليه السلام فَوَقَعَ التَّنْبِيهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ بِمَا سَيَقَعُ لِلنَّبِيِّ عليه السلام مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا مَا حَصَلَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مِنَ الْمَشَقَّةِ، وَكَرَاهَةِ فِرَاقِ مَا أَلْفَهُ مِنَ الْوَطَنِ، ثُمَّ كَانَ مَالٌ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَوْطِنِهِ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْهُ.

وَبِعِيسَى وَيَحْيَى عليهما السلام عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ عليه السلام مِنَ أَوَّلِ الْهَجْرَةِ مِنْ عَدَاوَةِ الْيَهُودِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الْبَغْيِ عَلَيْهِ، وَإِرَادَتِهِمْ وَصُولَ الشُّؤْمِ إِلَيْهِ.

وَبِيُوسُفَ عليه السلام عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ عليه السلام مِنْ إِخْوَتِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَصْبِهِمُ الْحَرْبَ لَهُ، وَإِرَادَتِهِمْ هَلَاكَهُ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَهُ» (٢).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، (٣٤٦٢)، وَقَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ»، وَحَسَنُهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (٢/٢٣١)، رَقْمُ (١٥٥٠).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، (١٧٨٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»: (١٠/١٥٤)، رَقْمُ (١١٢٣٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَبِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ.

وَبِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنْ قَوْمَهُ ﷺ رَجَعُوا إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ بَعْدَ أَنْ آذَوْهُ.

وَبِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ مَا وَقَعَ لَهُ مِنْ مُعَالَجَةِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَشَارَ ﷺ إِلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَىٰ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (١).

وَبِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اسْتِنَادِهِ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بِمَا خْتَمَ لَهُ ﷺ فِي آخِرِ عُمُرِهِ مِنْ إِقَامَةِ مَنْسِكِ الْحَجِّ وَتَعْظِيمِ الْبَيْتِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ؛ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللَّوْثِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» (٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ وَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» (٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ: بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمَوْلَةَ قُلُوبَهُمْ...، (٣١٥٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الزَّكَاةِ، (١٠٦٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الرَّقَاقِ: بَابُ فِي الْحَوْضِ، (٦٥٨١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثُرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طَيْبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ».

وفي روايةٍ أُخرى في «الصحيح»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفَةٌ» (١).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟

قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ» (٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

و(الْأَذْفَرُ): هُوَ الطَّيِّبُ الرَّائِحَةُ.

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ جَارِيَةً شَابَةً، قَالَ: «فَسَأَلْتُهَا: لِمَنْ أَنْتِ؟ وَقَدْ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُهَا، فَقَالَتْ: لِرَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ»، فَبَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا» (٣). وَالْحَدِيثُ أوردَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيرِ الْأَعْلَامِ»، وَقَالَ: «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ»، وَالْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»، وَقَالَ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: بَابُ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٤٩٦٤)، بَلْفِظٍ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ».

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١٠٤ / ٣)، رَقْمُ (١٢٠٠٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: (٧٥١٧)، وَفِيهِ: «... ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي حَبَأَ لَكَ رَبُّكَ...».

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «التَّفْسِيرِ»: (٢ / ٢٨٣)، رَقْمُ (١٥٢٧)، وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي زَوَائِدِ «الْمُسْنَدِ»: (١ / ١٧٠)، رَقْمُ (٢٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَيْلَةَ أُسْرِي بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ سَمِعَ فِي جَانِبِهَا وَجَسًا -أَي: صَوْتًا خَفِيًّا-، قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟».

قَالَ: «هَذَا بِلَالُ الْمُؤَدَّن».

فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَاءَ إِلَى النَّاسِ: «قَدْ أَفْلَحَ بِلَالُ!» (١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ.

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ! حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمَلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنَفَعَةٌ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّة».

قَالَ بِلَالُ: «مَا عَمَلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفَعَةٌ مِنْ أَنِّي لَا أَطْهَرُ طُهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلَةٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ» (٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الْأَحَادِ وَالْمَثَانِي»: (١/١٩٨، رقم ٢٥٦)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»: (١٩/٣٧١-٣٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: بُرَيْدَةَ رضي الله عنه.

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٤/٤٧٤، رقم ١٨٥٩).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١/٢٥٧، رقم ٢٣٢٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ»: (ص ١٤٦، رقم ١٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ التَّهَجُّدِ: بَابُ فَضْلِ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، (١١٤٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، (٢٤٥٨).

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ فَشَرَبْتُ» (١).

قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٢): «وَلَعَلَّ السَّرَّ فِي عُدُولِهِ عَنِ الْعَسَلِ إِلَى اللَّبَنِ: كَوْنُ اللَّبَنِ أَنْفَعُ، وَبِهِ يَشْتَدُّ الْعَظْمُ، وَيَنْبُتُ اللَّحْمُ، وَهُوَ بِمَجْرَدِهِ قُوَّةٌ، وَلَا يَدْخُلُ فِي السَّرَفِ بِوَجْهِهِ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الزُّهْدِ.

وَأَمَّا الْعَسَلُ وَإِنْ كَانَ حَلَالًا؛ لَكِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَلَذَّاتِ الَّتِي قَدْ يُخْشَى عَلَى صَاحِبِهَا أَنْ يَنْدَرِجَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى- ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٠].»

وَقَالَ الْحَافِظُ (٣): «وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ السَّرُّ فِيمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْإِسْرَاءِ: أَنَّهُ ﷺ عَطِشَ فَاتَرَ اللَّبَنَ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ حُصُولِ حَاجَتِهِ دُونَ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ، فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الْأَصْلِيُّ فِي إِثَارِ اللَّبَنِ، وَصَادَفَ مَعَ ذَلِكَ رُجْحَانُهُ عَلَيْهِمَا مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ».

فَقِيلَ لِي: «هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ» (٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٧)، وَمُسْلِمٌ: (١٦٤)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، مِنْ رِوَايَةِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «الْفَتْحُ»: (١٠/٧٣-٧٤).

(٣) «الْفَتْحُ»: (١٠/٧٤).

(٤) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي «الصَّحِيحِينَ» قَالَ: «أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ» (١).

ثُمَّ انْطَلَقَ جَبْرِيلُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى؛ فَإِذَا نَبْتُهَا -وَالنَّبْتُ: ثَمَرُ السِّدْرِ- كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ -الْقِلَالُ: جَمْعُ قَلَّةٍ، وَهِيَ الْجِرَارُ، يُرِيدُ أَنْ ثَمَرَهَا فِي الْكَبْرِ كَمِثْلِ الْقِلَالِ، وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ؛ فَلِذَلِكَ وَقَعَ التَّمَثِيلُ بِهَا، وَأَمَّا هَجَرَ فَفِي مَدِينَةِ الْأَحْسَاءِ-، فَإِذَا نَبْتُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفَيْلَةِ، وَغَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؛ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا».

فَقَالَ جَبْرِيلُ ﷺ: «هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟».

قَالَ: «أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ» (٢).
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«وَهُنَاكَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى رَأَى جَبْرِيلُ ﷺ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهَا فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرِفٍ أَخْضَرَ -وَالرَّفْرِفُ: مَا كَانَ مِنَ الدِّيَابِجِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْأَشْرَبَةِ: بَابُ شُرْبِ اللَّبَنِ، (٥٦١٠)، وَمُسْلِمٌ:

(١٦٢)، مِنْ رِوَايَةِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رَقِيقًا حَسَنَ الصَّنْعَةِ - لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ، يَتَنَاقَرُ مِنْ أَجْنَحَتِهِ التَّهَاقُوتُ، وَالذَّرُّ، وَالْيَاقُوتُ» (١).

«وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَرَى جِبْرِيلَ إِلَّا عَلَى صُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَكْثَرُ مَا يَرَاهُ ﷺ عَلَى صُورَةِ دَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ» (٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْ هَذَا: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣-١٨].

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: «أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾؟»

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١/٣٩٥، رقم ٣٧٤٨)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ رِوَايَةِ: شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ: بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ... (٣٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٤)، بَلْفِظَ: «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ» وَفِي رِوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ (٤٨٥٨) بَلْفِظَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ».

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا أَقْرَبَ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةً». وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٢/١٠٨، رقم ٥٨٥٧)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، قَالَ: «وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دَحِيَّةٍ».

قَالَتْ: «أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ جِبْرِيلُ». لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ، رَأَاهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (١).

«ثُمَّ نَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ ﷺ، فَوَجَدَهُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَالْحِلْسِ: الْبِسَاطُ، أَوْ الْحَصِيرُ» (٢).

أُورِدَ ذَلِكَ الْهَيْشَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَأُورِدَ طُرُقُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَقَالَ (٤): «وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالْحَدِيثُ بِمَجْمُوعِ الطَّرِيقَيْنِ حَسَنٌ، أَوْ صَحِيحٌ».

«فَوَجَدَهُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، ثُمَّ غَشِيَتْ تِلْكَ السُّدْرَةَ سَحَابَةٌ، فَتَأَخَّرَ جِبْرِيلُ ﷺ، وَعَرَجَ بِالرَّسُولِ ﷺ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُسْتَوَى سَمِعَ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ» (٥).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ: بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ...، (٣٢٣٤ و ٣٢٣٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الرَّقَّةِ وَالْبُكَاءِ»: (ص ٢٧١، رَقْم ٤١٤)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ»: (١/ ٢٧٦، رَقْم ٦٢١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»: (٥/ ٦٤، رَقْم ٤٦٧٩).

(٣) «الْمَجْمَعِ»: (١/ ٧٨، رَقْم ٢٤٦).

(٤) «السُّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ»: (٥/ ٣٦٢، رَقْم ٢٢٨٩).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣٤٩)، وَمُسْلِمٌ: (١٦٣)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي حَبَّةِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ».

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: بِمِ أَمْرْتِ؟ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟

فَقَالَ ﷺ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، وَإِنِّي -وَاللَّهِ- قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا.

قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ ﷺ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ؛ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً» (١).

(١) هذا حديث آخر، أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الرقاق: باب من هم بحسنة أو سيئة، (٦٤٩١)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان، (١٣١)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، فيما يروي عن ربه ﷻ قال:

قَالَ الْحَافِظُ^(١): «هَذَا مِنْ أَقْوَى مَا اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- كَلَّمَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ^(٢): «فَحَصَلَ لَهُ التَّكْلِيمُ مِنَ الرَّبِّ ﷻ لَيْلَةَ إِذِهِ، وَأَيَّمَةُ السَّنَةِ كَالْمُطَبِّقِينَ عَلَى هَذَا».

قَالَ ﷺ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»^(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) «فَتْحُ الْبَارِي»: (٢١٦/٧).

(٢) «السيرة النبوية»: (١٠١/٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣٨٨٧)، وَمُسْلِمٌ: (١٦٤)، تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ

مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه ثَلَاثًا؛ أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحَمَاتُ» (١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

«الْمُقْحَمَاتُ»: الذُّنُوبُ الْعِظَامُ الْكَبَائِرُ الَّتِي تُهْلِكُ أَصْحَابَهَا، وَتُورِدُهُمُ النَّارَ، وَتُقْحِمُهُمْ إِيَّاهَا، وَالتَّقْحُمُ: الْوُقُوعُ فِي الْمَهَالِكِ.

وَمَعْنَى الْكَلَامِ: مَنْ مَاتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِاللَّهِ غُفِرَتْ لَهُ الْمُقْحَمَاتُ، وَالْمُرَادُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِغُفْرَانِهَا: أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ؛ بِخِلَافِ الْمُشْرِكِينَ، لَيْسَ الْمُرَادُ: أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ أَصْلًا؛ فَقَدْ تَقَرَّرَتْ نُصُوصُ الشَّرْعِ وَإِجْمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ بَعْضِ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ» (٢).

هَلْ رَأَى الرَّسُولُ صلوات الله وسلامته عليه رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؟

اختلف العلماء في رؤية الرسول صلوات الله وسلامته عليه لربه تبارك وتعالى ليلة الإسراء والمعراج، فروى الشيخان في «صحيحهما» (٣) عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: «يا أمّتها! هل رأى محمد صلوات الله وسلامته عليه ربه؟». «؟».

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٣).

(٢) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: لِلنَّوَوِيِّ (٣/٣).

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: (٤٨٥٥)، وَ «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١٧٧)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

فَقَالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتِ، أَيْنَ أَنْتِ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

«لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتِ» أَي: قَامَ مِنَ الْفَزَعِ؛ بِمَا حَصَلَ عِنْدَهَا مِنْ هَيْبَةِ اللَّهِ وَاعْتَقَدَتْهُ مِنْ تَنْزِيهِهِ، وَاسْتِحَالَةِ وُقُوعِ ذَلِكَ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ (١) - كَذَلِكَ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» (١)، قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةٍ جَنَاحٍ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟».

قَالَ: «نُورٌ؛ أَنَّى أَرَاهُ؟!».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ: (١٧٤)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٨).

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(١١)، وَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(١٣)؛ قَالَ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «فِي حَدِيثِ شَرِيكَ زِيَادَةَ تَفَرَّدَ بِهَا عَلِيُّ مَذْهَبٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ، وَقَوْلُ عَائِشَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي حَمْلِهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَيَّ رُؤْيِيهِ جَبْرِيْلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصَحُّ مِنْ ذَلِكَ».

عَلَّقَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣) عَلَيَّ كَلَامَ الْبَيْهَقِيِّ بِقَوْلِهِ: «وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْبَيْهَقِيُّ هُوَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤): «وَأَمَّا الرَّؤْيِيَّةُ؛ فَالَّذِي ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ. وَعَائِشَةُ أَنْكَرَتْ الرَّؤْيِيَّةَ.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: عَائِشَةُ أَنْكَرَتْ رُؤْيِيَةَ الْعَيْنِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ أَثَبَتَ رُؤْيِيَةَ الْفُؤَادِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٦).

(٢) «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ»: (٣٨٢ / ٢).

(٣) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»: (٨ / ٥).

(٤) «مَجْمُوعُ الْفُتَاوَى»: (٦ / ٥٠٩ - ٥١٠).

وَالْأَلْفَاظُ الثَّابِتَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ، أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ، تَارَةً يَقُولُ:
رَأَى مُحَمَّدًا رَبَّهُ، وَتَارَةً يَقُولُ: رَأَهُ مُحَمَّدًا، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَفْظُ صَرِيحٍ
بِأَنَّهُ رَأَهُ بِعَيْنِهِ.

وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ تَارَةً يُطْلِقُ الرَّؤْيِيَةَ، وَتَارَةً يَقُولُ: رَأَهُ بِفُؤَادِهِ، وَلَمْ يَقُلْ
أَحَدٌ إِنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ يَقُولُ: «رَأَهُ بِعَيْنِهِ».

لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَقِ، فَفَهِمُوا مِنْهُ رُؤْيِيَةَ
الْعَيْنِ، كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَفَهِمَ مِنْهُ رُؤْيِيَةَ الْعَيْنِ.

وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَأَهُ بِعَيْنِهِ، وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ
الصَّحَابَةِ، وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلِ النَّصُوصُ الصَّحِيحَةُ
عَلَى نَفْيِهِ أَذَلُّ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟»، قَالَ: «نُورٌ؛ أَنَّى أَرَاهُ؟!» (١).

وَقَدْ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ
لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿أَفْتُمِرُونَ، عَلَى مَا يُرَى﴾ (١٢)، وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿لَقَدْ
رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨)، وَلَوْ كَانَ رَأَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى.

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿جَعَلْنَا
الرُّءْيَا أَلْتَىٰ أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هِيَ رُؤْيَا
عَيْنِ أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، وَهَذِهِ «رُؤْيَا الْآيَاتِ» (١)؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ
النَّاسَ بِمَا رَأَاهُ بِعَيْنِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ؛ حَيْثُ صَدَّقَهُ قَوْمٌ، وَكَذَّبَهُ
قَوْمٌ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِأَنَّهُ رَأَىٰ رَبَّهُ بِعَيْنِهِ.

وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ
ذَلِكَ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُونَهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَىٰ اللَّهُ أَحَدٌ فِي
الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ؛ إِلَّا مَا نَازَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً، وَاتَّفَقُوا
عَلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢): «وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ؛ فَإِنْ
كَانَ اسْتِنَادُهُ إِلَىٰ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (١١) [النجم: ١١]، ثُمَّ قَالَ
-تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) [النجم: ١٣]، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَنَدُهُ؛ فَقَدْ
صَحَّ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذَا الْمَرْثِيَّ جِبْرِيْلُ، رَأَاهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا،
وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا هُوَ مُسْتَنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي قَوْلِهِ: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ: بَابُ الْمِعْرَاجِ، (٣٨٨٨).

(٢) «الزاد»: (٣/٣٤).

وَأَمَّا قَوْلُهُ -تَعَالَى- فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾﴾؛ فَهُوَ غَيْرُ الدُّنُوِّ وَالتَّدَلَّى فِي قِصَّةِ الإِسْرَاءِ؛ فَإِنَّ الَّذِي فِي (سُورَةِ النَّجْمِ) هُوَ دُنُوُّ جِبْرِيلَ وَتَدَلَّىهِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ.

وَالسِّيَاقُ يُدَلُّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٥]، وَهُوَ جِبْرِيلُ: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾﴾ [النجم: ٦-٨]، فَالضَّمَاثِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى هَذَا الْمُعَلِّمِ الشَّدِيدِ الْقُوَى، وَهُوَ ذُو الْمِرَّةِ، أَي: الْقُوَّةِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَوَى بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، وَهُوَ الَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى).

ثُمَّ هَبَطَ جِبْرِيلُ ﷺ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ رَكِبَ الْبُرَاقَ مُنْصَرِفًا إِلَى مَكَّةَ بِصُحْبَةِ جِبْرِيلَ ﷺ، ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَرَرْتُ بِعَيْرِ بَنِي فُلَانٍ فَأَنْفَرَهُمْ حَسَّ الدَّابَّةِ -يَعْنِي: الْبُرَاقَ-، فَدَلَّ لَهُمْ بِعَيْرٍ، فَدَلَلْتَهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضَجْنَانَ مَرَرْتُ بِعَيْرِ بَنِي فُلَانٍ فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ، وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَعَلَى رَأْسِ الْعَيْرِ جَمَلٌ أَوْرُقٌ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ، وَالْأُخْرَى بَرَقَاءُ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/٤٠٢)، مُرْسَلًا، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»: (٢/٣٥٥-٣٥٧)، بِنَحْوِهِ، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ اجْتَمَعَ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ: أَبْرَقَ.

وَهَذَا الْخَبْرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» بِدُونِ إِسْنَادٍ، وَأَخْرَجَهُ بِنَحْوِهِ
الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَقَالَ: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
«أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ،
وَبِعَلَامَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبِعَيْرِهِمْ».

قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ؛ عَرَفْتُ أَنَّ
النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ، فَفَعَدْتُ مُعْتَرِلاً حَزِينًا.

قَالَ: فَمَرَّ بِي عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ، فَقَالَ لَهُ
كَالْمُسْتَهْزِي: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟!

قُلْتُ: «نَعَمْ».

قَالَ: مَا هُوَ؟

قُلْتُ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ».

قَالَ: إِلَى أَيِّنَ؟

قُلْتُ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

(١) «المُسْنَدُ»: (١/ ٣٧٤، رقم ٣٥٤٦)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «المُسْنَدِ»: (٥/ ٨١٠)، رقم

٢٧٢٠، وضح محقق مسند أبي يعلى إسناده.

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟!!

قُلْتُ: «نَعَمْ».

قَالَ: فَلَمْ يَرِهِ أَنَّهُ يَكْذِبُهُ؛ مَخَافَةً أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ:

أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ؛ أَتُحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ -لَعْنَهُ اللَّهُ-: هِيََا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ

الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ».

قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟!!

قَالَ: «نَعَمْ».

فَضَجَّ الْمُشْرِكُونَ وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ يُصَفِّقُ، وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ يَدَهُ

عَلَى رَأْسِهِ تَعْجُبًا!!»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (١/٣٠٩، رقم ٢٨١٩)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»:

(١٠/١٤٧، رقم ١١٢٢١).

كَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً، ارْتَدَّ بَعْضُ مَنْ أَسْلَمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- فِيْمَنْ ارْتَدَّ عَنْ
 إِسْلَامِهِ قَوْلَهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
 فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فَقَالُوا: «هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي
 صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَصَلَّى فِيهِ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ
 فِي لَيْلَةٍ؟!». .

فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ».

فَقَالُوا: «بَلَى؛ هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَاللَّهِ! لَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ».

فَقَالُوا: «أَوْتَصَدَّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ
 يُصْبِحَ؟!». .

قَالَ: «نَعَمْ، فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟! إِنَِّّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ،
 أُصَدِّقُهُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ فِي غُدُوءٍ أَوْ رُوحَةٍ؛ فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ».

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته، فَقَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَحَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ
 الْقَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «صَدَقْتَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ»، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ الصِّدِّيقَ^(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَانظُرِ «السُّلْسِلَةَ الصَّحِيحَةَ» لِلْأَلْبَانِيِّ.

طَلَبْتُ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: «هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِفَ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ؟». وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ.

قَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَقَدْ قَامَ: «أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَيْفَ بِنَاؤُهُ، وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ، فَإِنْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَسَأُخْبِرُكُمْ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَأُخْبِرُكُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ فَأُخْبِرُنِي كَيْفَ بِنَاؤُهُ؟ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ؟»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: (٣ / ٦٢ و ٧٦ - ٧٧، رَقْم ٤٤٠٧ و ٤٤٥٨)، اللَّالِكَايِيُّ فِي «شَرْحِ أَصُولِ الْأَعْتِقَادِ»: (٤ / ٨٥٢ و ٨٥٥، رَقْم ١٤٣٠ و ١٤٣٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ»: (١ / ٢٤، رَقْم ٦٩)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»: (٢ / ٣٦٠ - ٣٦١)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»: (٣٠ / ٥٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَصْبَحَ يُحَدِّثُ بِذَلِكَ النَّاسَ، فَأَرْتَدُّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِهِ وَفَتَنُوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ»؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ.

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١ / ٦١٥، رَقْم ٣٠٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»: (٢ / ٣٩٠-٣٩٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَائِي، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ» (١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ قَالَ ﷺ: «فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» (٢).

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» قَالَ «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ -أَيَ: أَصِفُ-، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، قَالَ: فَحِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ، فَنَعْتُهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ نَعْتِهِ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: «أَمَّا النَّعْتُ -فَوَاللَّهِ- لَقَدْ أَصَابَ» (٣).

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «آيَةٌ ذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعَيْرٍ لَكُمْ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَأَنْفَرَهُمْ حَسَّ الدَّابَّةَ -أَيَ: الْبُرَاقِ-، فَندَّ لَهُمْ بِعَيْرٍ، فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ فَشَرِبْتُ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ: بَابُ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ،

(٣٨٨٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، (١٧٠)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ

عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٨١٩)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»: (١١٢٢١)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ، مِنْ

حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَعَلَى عَيْرِهِمْ جَمَلٌ أَوْرَقٌ وَعَلَيْهِ غِرَارَتَانِ إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ،
وَالْأُخْرَى بَرَقَاءُ».

فَلَمَّا جَاءَتِ الْعَيْرُ إِذَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ الرَّسُولُ ﷺ،
وَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْإِنَاءِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً ثُمَّ غَطَّوهُ، وَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا
فَوَجَدُوهُ مُغَطَّى كَمَا غَطَّوهُ، وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً.

فَسَأَلُوهُمْ: «هَلْ ضَلَّ لَكُمْ بَعِيرٌ؟».

قَالُوا: «نَعَمْ، نَدَّ لَنَا بَعِيرٌ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذْنَا» (١).

فَعَلِمَ الْكُفَّارُ لَمَّا عَرَفُوا صِدْقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نَفُورًا
وَطُغْيَانًا كَبِيرًا.

وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ قَوْمَهُ بِالْإِسْرَاءِ أَوَّلًا، فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُمْ أَمَارَاتُ صِدْقِهِ
عَلَى تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَهُوَ الْمِعْرَاجُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢): «وَقَدْ عَايَنَ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأُمُورِ
الَّتِي لَوْ رَأَاهَا أَوْ بَعْضَهَا غَيْرُهُ لَأَصْبَحَ مُنْدهِشًا أَوْ طَائِشَ الْعَقْلِ؛ وَلَكِنَّهُ ﷺ أَصْبَحَ
سَاكِنًا يَخْشَى إِنْ بَدَأَ فَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى أَنْ يُبَادِرُوا إِلَيْهِ تَكْذِيبَهُ، فَتَلَطَّفَ
بِإِخْبَارِهِمْ أَوَّلًا بِأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/٤٠٢)، مُرْسَلًا، وَابْنُ بَيْهَقِي فِي

«الدَّلَائِلِ»: (٢/٣٥٥-٣٥٧)، بِنَحْوِهِ، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ

تَخْرِيجُهُ.

(٢) «السيرة النبوية»: (٢/١٠٢).

لَمَّا أَصْبَحَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ صَبِيحَةِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَبَيَّنَ لَهُ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتَهَا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَادَى بِأَصْحَابِهِ: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فَاجْتَمَعُوا، فَصَلَّى بِهِمْ جِبْرِيلُ، وَصَلَّى الرَّسُولُ ﷺ بِالنَّاسِ، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الصَّلَاةُ الظُّهْرُ؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ صَلَاةٍ ظَهَرَتْ، أَوْ لِأَنَّهَا فَعَلَتْ عِنْدَ قِيَامِ الظُّهَيْرَةِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّه»، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّه، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ - أَوْ قَالَ: صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ -، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّه، فَصَلَّى حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ.

ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّه، فَصَلَّى حِينَ غَابَ الشَّفَقُ.

ثُمَّ جَاءَهُ الْفَجْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّه، فَصَلَّى حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ - أَوْ قَالَ: حِينَ سَطَعَ الْفَجْرُ.

ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْغَدِ لِلظُّهْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّه، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ.

ثُمَّ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّه، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِيهِ.

ثُمَّ جَاءَهُ لِلْمَغْرِبِ وَقَتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ.

ثُمَّ جَاءَ لِلْعِشَاءِ حِينَ ذَهَبَ نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثُ اللَّيْلِ -، فَصَلَّى الْعِشَاءَ.

ثُمَّ جَاءَهُ لِلْفَجْرِ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ^(١).

كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَمَا فُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ رَكَعَتَيْنِ: الظُّهْرَ، وَالْعَصْرَ، وَالْعِشَاءَ، وَالْفَجْرَ، وَالْمَغْرِبُ ثَلَاثًا.

ثُمَّ هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَقْدَمِهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»^(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٣/ ٣٣١، رقم ١٤٥٣٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى»: كِتَابُ الْمَوَاقِيتِ: آخِرُ وَقْتِ الْعَصْرِ، (٥١٣)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: (١/ ١٩٦، رقم ٧٠٤).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»: (١/ ٢٧٠، رقم ٢٥٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الصَّلَاةِ: بَابُ كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ؟ (٣٥٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، (٦٨٥).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتَرَكْتُ صَلَاةَ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى» (١).

وَرَوَى أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ أَوَّلُ مَا افْتُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ رُكْعَتَانِ رُكْعَتَانِ إِلَّا الْمَغْرِبَ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أتمَّ اللَّهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَرْبَعًا فِي الْحَضَرِ، وَأَقَرَّ الصَّلَاةَ عَلَى فَرَضِهَا الْأَوَّلِ فِي السَّفَرِ» (٢).

قَالَ الْحَافِظُ (٣): «يُعَارِضُ حَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رُكْعَتَيْنِ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي - يَقُولُ الْحَافِظُ - وَبِهِ تَجَمُّعُ الْأَدِلَّةِ: أَنَّ الصَّلَوَاتِ فُرِضَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ رُكْعَتَيْنِ رُكْعَتَيْنِ إِلَّا الْمَغْرِبَ، ثُمَّ زِيدَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الصُّبْحَ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فُرِضَتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ رُكْعَتَيْنِ رُكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَاطْمَأَنَّ زَيْدٌ فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ: بَابُ التَّارِيخِ، مِنْ أَيْنَ أَرَّخُوا التَّارِيخَ، (٣٩٣٥).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»: (٦/ ٢٧٢، رَقْمُ ٢٦٣٣٨).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِي»: (١/ ٤٦٤-٤٦٥).

صَلَاةِ الْحَضَرِ رَكَعَتَانِ رَكَعَتَانِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ؛ لِطُولِ الْقِرَاءَةِ، وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ، لِأَنَّهَا وَتُرِ النَّهَارِ»^(١).

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فَرَضُ الرَّبَاعِيَّةِ خَفَّفَ مِنْهَا فِي السَّفَرِ عِنْدَ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

فَعَلَى هَذَا؛ الْمُرَادُ بِقَوْلِ عَائِشَةَ: «فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ» أَي: بِاعْتِبَارِ مَا آلَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ مِنَ التَّخْفِيفِ، لَا أَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ مُنْذُ فُرِضَتْ، فَلَا يُلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْقَصْرَ عَزِيمَةٌ.

وَالْحَقُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْقَصْرَ لِلرَّبَاعِيَّةِ فِي السَّفَرِ وَاجِبٌ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى هَاجَرَ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ.

رَوَى أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْكَعْبَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ». (*)

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «الصَّحِيحِ»: (١/١٥٧، رقم ٣٠٥)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «الصَّحِيحِ»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (٦/٤٤٧، رقم ٢٧٣٨).

وَالْحَدِيثُ صَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ مَوَارِدِ الظَّمَانِ»: (١/٢٦٢، رقم ٤٥٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (المُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ

كَانَ الْعُرُوجُ وَهُوَ ﷺ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، أُسْرِيَ بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَاجْتَمَعَ بِالْأَنْبِيَاءِ هُنَاكَ؛ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلَّهُمْ أَوْ غَالِبَهُمْ كَانُوا فِي جِهَةِ الشَّامِ أَوْ مِصْرَ، فَجُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ، وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ ﷺ هُوَ إِمَامُهُمْ، وَرَضُوا كُلَّهُمْ بِإِمَامَتِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جِبْرِيْلُ سَمَاءً فَسَمَاءً حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَهُوَ يَمُرُّ بِمَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبِمَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَرَّ عَلَىٰ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَكُلُّهُمْ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَيُرْحَبُ بِهِ؛ فَادَمٌ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَبَقِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ قَالُوا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

فَشَهَدَ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ بِالْبُنُوَّةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالنُّبُوَّةِ وَبِالصَّلَاحِ مَرَّتَيْنِ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ إِعْلَاءِ ذِكْرِهِ ﷺ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

وَفِي هَذَا الْمِعْرَاجِ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ، وَلَمْ يَفْرِضْ عَلَيْهِ الزَّكَاةَ، وَلَا الصِّيَامَ، وَلَا الْحَجَّ؛ وَلِهَذَا لَا نَعْلَمُ عِبَادَةً فَرَضَتْ مِنَ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (١٦٤)، ومسلم (١٦٤).

إِلَى الرَّسُولِ بَدُونٍ وَإِسْطَهِ إِلَّا الصَّلَاةَ، وَفَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا، وَفَضْلِهَا، وَعِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا، وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ يَصْرِفَ الْإِنْسَانُ جَمِيعَ وَقْتِهِ أَوْ جُلَّهُ فِيهَا؛ لِأَنَّ خَمْسِينَ صَلَاةً تَسْتَوْعِبُ وَقْتًا طَوِيلًا؛ لَا سِيَّمَا أَنَّنَا لَا نَدْرِي كَمْ كَانَ عَدَدُ الرَّكَعَاتِ فِيهَا، وَنَزَلَ نَبِيْنَا وَإِمَامُنَا وَقَائِدُنَا وَقُدُوتُنَا ﷺ مُقْتَنِعًا بِذَلِكَ، رَاضِيًا بِهِ مُسْلِمًا.

فَفَرَضَتِ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ صَلَاةً يُصَلِّيَهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ هُوَ وَأُمَّتُهُ، حَتَّى قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مُوسَى ﷺ، وَاللَّهُمَّ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَسْأَلَهُ: «مَاذَا فَرَضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ؛ إِنِّي جَرَّبْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَالَجْتُهُمْ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ»^(١).

وَمُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَا شَكَّ أَنَّهُ قَاسَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ؛ وَإِلَّا فَلَا يَصِحُّ قِيَاسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَطْوَعُ لِلَّهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَهَذِهِ الْأُمَّةُ لَمَّا ابْتَلَاهَا اللَّهُ - تَعَالَى - بِالصَّيْدِ وَهُمْ مُحْرَمُونَ تَنَالَهُ أَيْدِيهِمْ وَرِمَاحُهُمْ؛ تَنَالَهُ أَيْدِيهِمْ فِيمَا يَمْشِي، وَرِمَاحُهُمْ فِيمَا يَطِيرُ، وَالْعَادَةُ أَنَّ الَّذِي يَطِيرُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالسَّهَامِ، وَالَّذِي يَمْشِي لَا يُنَالُ إِلَّا بِالرَّمْحِ؛ لَكِنْ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ فَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الصَّيْدَ، ثُمَّ قَيَّضَ أَنَّ الصَّيْدَ الَّذِي يَطِيرُ يُؤْخَذُ بِالرَّمْحِ، فَلَا يَطِيرُ، وَلَكِنْ يَضْرِبُهُ بِالرَّمْحِ وَيَأْخُذُهُ، وَالَّذِي يَمْشِي كَالْأَرْزَبِ وَمَا أَشْبَهَهَا بِالْيَدِ، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، فَمَاذَا فَعَلَ الصَّحَابَةُ؟ هَلْ كَفُّوا عَنِ الصَّيْدِ مَعَ تَيْسُرِهِ، أَوْ أَخَذُوا بِهِ؟

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

الْجَوَابُ: كَفُّوا، مَا أَخَذُوهُ.

وَبَنُو إِسْرَائِيلَ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: لَا تَصِيدُوا يَوْمَ السَّبْتِ سَمَكًا؛ قَالُوا: لَا بَأْسَ، لَنْ نَصِيدَ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، وَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ، فَكَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ تَأْتِي الْحِيتَانُ شُرْعًا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَفِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ لَا تَأْتِي، فَفَرَقَتِ الْبُطُونُ عَلَى السَّمَكِ - صَوَّتَتْ مِنْ جُوعٍ وَغَيْرِهِ -، وَقَالُوا: كَيْفَ نَبْقَى - هَكَذَا - وَلَا نَأْكُلُ سَمَكًا؟! !!

ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ أَصْحَابُ حَيْلٍ، نَحْتَالُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ!! مَاذَا نَصْنَعُ؟ قَالُوا: نَضَعُ شَبَكَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَنَأْخُذُ مَا فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، فَلَا نَكُونُ قَدِ اضْطَدْنَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ، فَوَضَعُوا شَبَكَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتِ الْحِيتَانُ عَلَى الْعَادَةِ، فَدَخَلَتِ الشَّبَكَ وَعَجَزَتْ عَنِ الْخُرُوجِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ أَخَذُوهَا، فَتَحَيَّلُوا عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ؛ لَكِنْ لَمْ يَنْفَعَهُمْ هَذَا التَّحِيلُ، بَلْ قَلَبَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - قِرْدَةً، فَأَصْبَحُوا قِرْدَةً يَتَعَاوَنُونَ، وَالَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ رَجُلًا يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ أَصْبَحَ الْآنَ قِرْدًا يَمْشِي عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

وَهَذِهِ الْحِيلَةُ الَّتِي فَعَلُوهَا أَقْرَبُ مَا يَكُونُ لِبَنِي آدَمَ فِيهَا الْقُرُودُ، فَهَمُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ لِلْحَيْلِ، فَصَارَ الْجَزَاءُ وَفَاقًا مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُقَاسَ هَذِهِ الْأُمَّةُ السَّامِعَةُ الْمُطِيعَةُ الَّتِي قَالَ قَاتِلُهُمْ لَمَّا اسْتَشَارَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَزْوِ، قَالَ: «وَاللَّهِ! لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿المائدة: ٢٤﴾، وَلَكِنْ أَذْهَبَ فَقَاتِلْ، فَحَنْ بَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ، وَاللَّهِ! لَوْ خُضَّتْ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ».

مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ ﷻ: أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَعْلَمُ هَذِهِ الْأُمَّةَ حَقِيقَةً، فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعَ الرَّسُولُ ﷺ، فَوَضَعَ اللَّهُ عَنْهُ خَمْسًا خَمْسًا، أَوْ عَشْرًا عَشْرًا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيَّ خَمْسٍ، فَنَادَى مُنَادٍ: إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي؛ هُنَّ خَمْسٌ فِي الْفِعْلِ، وَخَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ» (١).

وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى فَضْلِ الصَّلَاةِ وَعِظْمِهَا، فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ، وَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى وَصَلَ مَكَّةَ بِغَلَسٍ، وَصَلَّى بِهَا الْفَجْرَ، وَنَزَلَ جِبْرِيْلُ، وَصَلَّى بِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْفَجْرَ، وَالظُّهْرَ، وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ، وَالْعِشَاءَ.

وَهَذَا الْمِعْرَاجُ مِنْ خَصَائِصِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَاهُ، فَهُوَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ، وَعَلَى الْآيَاتِ الْكُبْرَى الَّتِي شَاهَدَهَا الرَّسُولُ ﷺ.

وَلَوْ أَنَّا اسْتَعْرَضْنَا الْمِعْرَاجَ لَوَجَدْنَا الرَّسُولَ ﷺ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ، ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧]، وَنَحْنُ لَوْ دَخَلْنَا قَصْرًا غَرِيبًا عَلَيْنَا كَانَ الْوَاحِدُ يَنْظُرُ لِلسَّقْفِ مَرَّةً، وَيَنْظُرُ لِلجِدَارِ الْأَيْمَنِ مَرَّةً، وَيَنْظُرُ لِلجِدَارِ الْأَيْسَرِ مَرَّةً، وَرَبَّمَا يَنْظُرُ لِلْأَرْضِ وَالْبُسْطِ، فَيَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ عَلَيْهِ؛ لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [١٧]، فَلَمْ يَتَجَاوَزِ النَّظَرَ الَّذِي حُدِّدَ لَهُ مِنْ حَدِّ؛ فَهُوَ ﷺ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ.

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧] أَي: مَا نَظَرَ شَيْئًا عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

وَالْكَبْرَى (فِي إِعْرَابِهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: مَفْعُولٌ بِهِ، أَي: لَقَدْ رَأَى الْكُبْرَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: صِفَةٌ لِآيَاتٍ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ كَوْنَهَا صِفَةً أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مَفْعُولًا بِهِ صَارَ الْمَعْنَى: أَنَّهُ رَأَى الْكُبْرَى الَّتِي لَا أَكْبَرَ مِنْهَا، وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهَا صِفَةٌ؛ صَارَ الْمَعْنَى: رَأَى مِنْ الْآيَاتِ الْكُبْرَى الْمَوْجُودَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ.

وَهُنَا قَدْ يَرِدُ إِشْكَالٌ؛ حَيْثُ وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْبِيَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ؛ فَكَيْفَ نَقُولُ: إِنَّهُ اخْتَصَمَهُ بِالْمِعْرَاجِ مَعَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا فِي السَّمَاوَاتِ؟

وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُعْرَجَ بِهِمْ وَهُمْ أَحْيَاءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَإِنَّمَا وَجَدَ أَرْوَاحَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ حَتَّى الَّذِينَ فِي السَّمَاوَاتِ لَمْ يَصِلُوا إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ؛ لِأَنَّ أَعْلَاهُمْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

وَهَذَانِ فَرْقَانِ وَاضِحَانِ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضِرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ

مَتَى وَآيْنَ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟

كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، هَذَا أَرْجَحُ مَا قِيلَ، وَقِيلَ فِيهِ أَقْوَالٌ أُخْرَى؛ وَلَكِنَّهَا لَمْ تُحَرَّرْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا كَانُوا يَعْتَنُونَ بِهِذِهِ الْأُمُورِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ تَارِيخٌ، بَلْ كَانَ الْجَيْدُ مِنْهُمْ وَالْمُتَّقِفُ يُؤَرِّخُ بِعَامِ الْفِيلِ، وَمَا أُرِّخَ التَّارِيخُ إِلَّا فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

إِذَنْ؛ هُوَ عَلَى الْأَرْجَحِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ.

هَلْ كَانَ هَذَا الْمِعْرَاجُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ؟

اشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَصَارَ بَعْضُ النَّاسِ يَحْتَفِلُ بِهِ، وَبَعْضُ الدُّوَلِ تَجْعَلُهُ عَطْلَةً رَسْمِيَّةً وَهُمْ يَحْكُمُونَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَهَذَا تَنَاقُضٌ عَجِيبٌ!!

وَلَكِنَّ الصَّوَابَ: أَنَّ الْمِعْرَاجَ لَيْسَ فِي رَجَبٍ، وَأَقْرَبُ مَا قِيلَ: أَنَّهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وُلِدَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ ﷺ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، نَعَمْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي رَمَضَانَ؛ لَكِنْ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ فِي الْوَحْيِ: الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنْ رَبِيعٍ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ

الْوَحْيِ: أَنَّهُ كَانَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ حَتَّى تَأْتِيَ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» (١).

وَبَقِيَ عَلَى هَذَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ: رَبِيعُ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَجُمَادَى الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَرَجَبٌ، وَشَعْبَانُ، وَفِي رَمَضَانَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.

إِذَنْ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ وُلِدَ فِي رَبِيعٍ، وَأَوَّلَ مَا جَاءَهُ الْوَحْيُ فِي رَبِيعٍ؛ لَكِنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي رَمَضَانَ، وَهَاجَرَ فِي رَبِيعٍ، وَتُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ ﷺ، فَكُلُّ الْحَوَادِثِ الْكَبِيرَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ فِي رَبِيعٍ.

فَأَصْحٌ مَا قِيلَ: إِنَّ الْمِعْرَاجَ كَانَ فِي رَبِيعٍ، وَلَيْسَ فِي رَجَبٍ؛ لَكِنْ اشْتَهَرَ أَنَّهُ فِي رَجَبٍ، وَصَارَ عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ مَجْزُومٌ بِهِ، كَمَا اشْتَهَرَ أَنَّ وِلَادَتَهُ كَانَتْ فِي لَيْلَةِ الثَّانِي عَشَرَ، وَهَذَا لَا أَصْلَ لَهُ!!

كَانَ الْإِسْرَاءُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مِنْ حِجْرِ الْكَعْبَةِ (٢)، وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ.

وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنْ يُقَالَ: كَانَ نَائِمًا عِنْدَ أُمِّ هَانِيٍّ، فَاتَاهُ آتٍ فَأَيَّقَطَهُ، فَقَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَاضْطَجَعَ عِنْدَ الْحِجْرِ، فَعُرِجَ بِهِ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. (*)

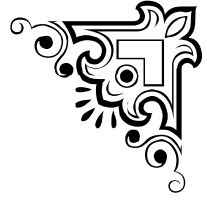
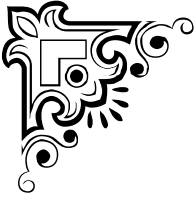


(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (المُحَاضَرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ

الثَّانِي ١٤٣١هـ | ١٨-٣-٢٠١٠م.



الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

كَانَ بَجَسَدِ الرَّسُولِ ﷺ وَرُوحِهِ يَقْظَةٌ

الصَّحِيحُ أَنَّ الإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَ بَجَسَدِهِ وَرُوحِهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَسْرَى بَعْبِدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ، وَكَمَا تَضَافَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- حَمَلَهُ عَلَى الْبُرَاقِ حَيْثُ أَتَاهُ بِهِ، وَصَلَّى هُنَالِكَ بِمَنْ صَلَّى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَأَرَاهُ مَا أَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ.

وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: أَسْرَى بِرُوحِهِ دُونَ جَسَدِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَلَا حُجَّةً لَهُ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ، وَكَانُوا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ صِدْقِهِ فِيهِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَرَى الرَّائِي مِنْهُمْ فِي الْمَنَامِ مَا عَلَى مَسِيرَةِ سَنَةٍ؛ فَكَيْفَ بِمَا هُوَ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ أَوْ أَقَلَّ؟!!

(١) «جَامِعُ الْبَيَانِ»: (١٥ / ١٧).

وَبَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ أُسْرِيَ بِرُوحِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّى مَا قَالَ اللَّهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنْ مُرَادَ اللَّهِ -تَعَالَى- مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ﴾: أُسْرِيَ بِرُوحِ عَبْدِهِ.

بَلِ الْأَدِلَّةُ الْوَاضِحَةُ وَالْأَخْبَارُ الْمُتَّابِعَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- أُسْرِيَ بِهِ عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا: الْبُرَاقُ، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَمْ تَكُنِ الرُّوحُ مَحْمُولَةً عَلَى الْبُرَاقِ؛ إِذْ كَانَتِ الدَّوَابُّ لَا تَحْمِلُ إِلَّا الْأَجْسَامَ.

يَعْنِي: لَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَا بِجَسَدِهِ؛ فَلِمَاذَا تُحْمَلُ الرُّوحُ عَلَى الْبُرَاقِ؟! وَهَلْ يُحْمَلُ عَلَى الْبُرَاقِ وَعَلَى الدَّوَابِّ إِلَّا الْأَجْسَادُ!!

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (١): «الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ، يَقْطَعُ لَا مَنَامًا، فَأُسْرِيَ بِهِ بِجَسَدِهِ، وَأُسْرِيَ بِهِ فِي يَقْطَعِهِ لَا فِي مَنَامِهِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: قَوْلُهُ ﷺ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ﴾.

فَالْتَسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا، وَلَمَّا بَادَرَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَلَمَّا ارْتَدَّتْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةً عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، قَالَ -عَزَّ شَأْنُهُ-: ﴿أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، وَقَدْ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»: (٥/ ٤٣).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ: شَجَرَةُ الزُّقُومِ» (١).

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢): «وَقَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النَّجْم: ١٧]، وَالْبَصَرُ مِنْ آيَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ، وَهُوَ ذَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَى مَرَكَبٍ تَرَكَّبُ عَلَيْهِ؛ يَعْنِي: الرُّوحَ. (*).

الصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ: أَنَّهُ يَقْطَعُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: بِرُوحِ عَبْدِهِ، وَالْعَبْدُ هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِيهِ الرُّوحُ؛ فَقَدْ أُسْرِيَ بِهِ بِجِسْمِهِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- يَقْطَعُهُ.

وَيَدُلُّ لِذَلِكَ -أَيْضًا- أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَنْامًا لَمْ تُنْكَرْهُ قُرَيْشٌ؛ لِأَنَّ الْمَنَامَ لَا يُنْكَرُ؛ فَمَثَلًا: لَوْ قَالَ الْإِنْسَانُ: إِنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَقْصَى الشَّرْقِ، أَوْ أَقْصَى الْعَرْبِ، وَرَأَى مَا رَأَى مِنَ الْأَعَاجِيبِ؛ هَلْ يُكَذَّبُ؟

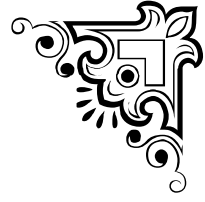
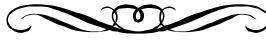
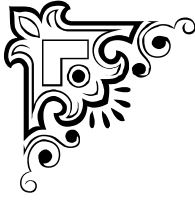
الْجَوَابُ: أَبَدًا لَا يُكَذَّبُ، لَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ بِجِسْمِهِ وَيَقْطَعُهُ مَا كَذَّبَتْ بِهِ قُرَيْشٌ. (*). (٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ: بَابُ الْمِعْرَاجِ، (٣٨٨٨).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»: (٤٤ / ٥).

(*). مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ | ١٣-٩-٢٠١٨م.

(*). (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضِرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٣١هـ | ١٨-٣-٢٠١٠م.



الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ

جُمهُورُ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلْفًا عَلَيَّ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّهُمَا كَانَا فِي الْيَقْظَةِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ وَاللَّيْلَةِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ -تَعَالَى- فِي مُفْتَتِحِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ﴿بِعَبْدِهِ﴾؛ إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ.

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ النَّقْلِ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً بِمَكَّةَ بَعْدَ الْبُعْثَةِ». (*)

الصَّحِيحُ الْمَقْطُوعُ بِهِ: أَنَّهُ لَمْ يَتَكَرَّرْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً.

(١) «زَادُ الْمَعَادِ»: (٣/٣٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ|

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأَ إِنَّا أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإِسْرَاءُ: ١]، وَالْآيَاتُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يُرِيهِ إِيَّاهَا هِيَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾ [النَّجْم: ١٨].

فَالصَّوَابُ: أَنَّ الإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضِرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ

الثَّانِي ١٤٣١هـ | ١٨-٣-٢٠١٠م.

الرَّدُّ عَلَى شُبُهَاتِ الزَّائِعِينَ حَوْلَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

يَتَعَرَّضُ الْإِسْلَامُ مِنْ قَدِيمٍ مُنْذُ أَنْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى التَّشْوِيشِ
وَالتَّشْوِيهِ، وَإِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ، وَفِي هَذَا الْعَصْرِ وَجَدَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ،
فَهَذَا الْعَصْرُ غَيْرُ مَسْبُوقٍ فِي مِضْمَارِ التَّشْوِيهِ لِذَيْنِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلِكِتَابِهِ
الْمَجِيدِ، وَنَبِيِّهِ الْأَمِينِ ﷺ.

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَكَيْفَ يَرُدُّ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مِمَّنْ
آتَاهُ اللَّهُ طَرَفًا مِنَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُبَيِّنُ مَنْ يَقَالُ لَهُمْ: (الْمُتَّقِفُونَ) مِنْ
الْمُسْلِمِينَ، وَكَذَا يُبَيِّنُ الشَّبَابِ الَّذِينَ فِي الْجُمْلَةِ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ الَّذِي
جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيُوجَدُ قُطْعَانُ تُسَاقُ إِلَى الْإِلْحَادِ سَوْقًا، لَا
بِمُجَرَّدِ الْوُقُوعِ فِي الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ، وَإِنَّمَا فِي انْكَارِ وَجُودِ رَبِّ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاوَاتِ؛ فَضْلًا عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَهَذَا الْبَلَاءُ
كُلُّهُ إِنَّمَا دَخَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ قِلَّةٍ أَوْ عَدَمِ تَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ؛ فَهَذَا دِينُ التَّوْحِيدِ.

وَإِذَا عَلَّمَ الْمُسْلِمُ أَصُولَ التَّوْحِيدِ، وَشَبَّ عَلَى ذَلِكَ، وَرَضَعَ لَبَانَهُ؛ فَلَا
يُمْكِنُ أَنْ تُوَثِّرَ فِيهِ شُبُهَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ شَكٌّ مَهْمَا حَاوَلَ الْمَشْكُوكُونَ

وَالْمُشَبَّهُونَ؛ وَلَكِنَّ النَّاسَ يَنْشُؤْنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ
النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُمْ أَوَّلَ مَا عَلَّمَهُمْ حَقِيقَةَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا اللَّهَ، وَأَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ -تَعَالَى- شَيْئًا، وَنَطَقَ بِذَلِكَ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ بَيْنَ يَدَيْ النَّجَاشِيِّ، وَفِي وَسْطِ الْأَمْرِ أَبُو سُفْيَانَ بَيْنَ يَدَيْ هِرَقْلَ، فَهَذَا
مُؤْمِنٌ، وَهَذَا كَانَ كَافِرًا؛ وَلَكِنَّ حَقِيقَةَ الدِّينِ كَانَتْ وَاضِحَةً فِي أَنْفُسِهِمْ، وَصُورَةَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى مُحَمَّدٍ -مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَنَبَذِ الشِّرْكِ- كَانَتْ
وَاضِحَةً مُتَالِفَةً فِي أَرْوَاحِهِمْ؛ لِذَلِكَ بَدَأُوا كُلٌّ مِنْ كَلْمُوهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُونَا إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ، وَنَبَذِ وَتَرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ.

وَهَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا، فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ جَمِيعُ
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، كُلُّهُمْ بَدَأُوا أَقْوَامَهُمْ بِهَذِهِ الْقَوْلَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى كَلِمَةِ
التَّوْحِيدِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٢٩ و٦٥ و٧٣ و٨٥].

نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، فَدِينُ الْمُرْسَلِينَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، كُلُّ الْمُرْسَلِينَ جَاءُوا بِالنَّفْيِ
وَالْإِثْبَاتِ، وَلَا يُقْبَلُ النَّفْيُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتٍ، وَلَا يُقْبَلُ الْإِثْبَاتُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ
نَفْيٍ حَتَّى يَجْمَعَ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ.

وَفِي هَذَا الْعَصْرِ بَلَاءٌ كَبِيرٌ وَحَرْبٌ شَرِسَةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسَ
أَصُولَ الدِّينِ.

أَتَنْظُنُونَ الْغَرْبَ يُحَارِبُ التَّكْفِيرِيِّينَ؟! !!

لَا، هُوَ الَّذِي يَصْنَعُهُمْ، إِنَّمَا يُحَارِبُكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّكُمْ تَحْمِلُونَ حَقِيقَةَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَتَبِينُونَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، هُمْ لَا يُحَارِبُونَهُمْ، هُمْ يَصْنَعُونَهُمْ وَيَشْغَبُونَ بِهِمْ، وَيَمَكِّنُونَ لَهُمْ، وَيَعُوذُونَ بِهِمْ، وَالْحَرْبُ الْحَقِيقِيَّةُ عَلَى الدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَكَذَلِكَ الْفَجْرَةُ مِنَ الْعُلَمَائِينَ فِي مِصْرَ لَا يُحَارِبُونَ إِلَّا الدِّينَ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ.

وَهُنَاكَ حَمَلَةٌ مَسْعُورَةٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي أُمُورٍ خَفِيَّةٍ، كَأَنَّمَا يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِشَيْءٍ يُرِيدُونَ إِحْدَاثَهُ بِمِصْرَ، فَيُرِيدُونَ إِسْكَاتَ كُلِّ صَوْتٍ يُدْفَعُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيُدْفَعُ عَنِ مِصْرَ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّورِ، بِالذِّسِّ عِنْدَ الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ، وَعِنْدَ الْجِهَاتِ الْمَعْنِيَّةِ، بِإِشَاعَةِ أَقْوَالٍ بَاطِلَةٍ مَرْدُودَةٍ، وَبِإِشَاعَةِ أَكَاذِيبٍ وَتُرَاهَاتٍ، وَيَجِدُونَ مِنَ الْعُلَمَائِينَ الْفَجْرَةَ مَنْ يَهَيِّجُونَ الرَّأْيَ الْعَامَّ، وَيَسْتَشِيرُونَ أَصْحَابَ الْكَلِمَةِ؛ مِنْ أَجْلِ إِصْمَاتِ وَإِسْكَاتِ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي دِينِ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَيُحَافِظُ عَلَى أَرْضِهِ، وَيُحَافِظُ عَلَى وَطَنِهِ، وَيُحَافِظُ عَلَى سَلَامَةِ مِصْرَ، وَيَدْعُو أَبْنَاءَهَا وَمَنْ هُوَ بِهَا مِنْ غَيْرِهَا إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا قَلْعَةُ الْإِسْلَامِ الصَّامِدَةُ الَّتِي إِذَا انْهَارَتْ - نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - انْهَارَتْ سَائِرُ الْقِلَاعِ تَبَعًا لِانْهِيَارِهَا.

خُطَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ، وَيُعِينُ عَلَيْهَا مَنْ يَدْعُونَ زُورًا وَكَذِبًا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِنَّمَا هُمْ فَجْرَةٌ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْخَلْقِ الْحَسَنِ شَيْئًا، وَلَا يَذَرُونَ عَنِ الْمُرُوءَةِ خَبْرًا؛ فَسَأَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ يَقِينَا شَرَّ الْأَشْرَارِ، وَكَيْدَ الْفُجَّارِ؛ إِنَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَهِيَ تَكَادُ تَنْحَصِرُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِالْجَسَدِ فِي اسْتِبْعَادِ الذَّهَابِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ فِي الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، ثُمَّ فِي الرَّجُوعِ مِنْ حَيْثُ أَتَى فِي جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَفِي أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ لَمْ يَذْكَرِ الْمِعْرَاجَ كَمَا ذَكَرَ الْإِسْرَاءَ.

وَفِي أَنَّ الْمِعْرَاجَ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْخَرَقُ وَالِالْتِمَامُ فِي الْأَفْلَاكِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ.

وَفِي أَنَّ الطَّبَقَةَ الْهَوَائِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِالْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ مَحْدُودَةٌ بِثَلَاثِ مِائَةِ كِيلُو مِترٍ (٣٠٠ كم) تَقْرِيبًا، فَمَنْ جَاوَزَهَا صَارَ عُرْضَةً لِلْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ؛ لِعَدَمِ وُجُودِ الْهَوَاءِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْحَيَاةِ.

وَهَذِهِ كُلُّهَا شُبُهَاتٌ لَا تَثْبُتُ أَمَامَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الصَّحِيحِ؛ فَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ أَمْرَانِ مُمَكِنَانِ عَقْلًا أَخْبَرَ بِهِمَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُتَوَاتِرِ، وَفِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ؛ فَوَجَبَ التَّصَدِيقُ بِوُقُوعِهِمَا، وَمِنْ ادَّعَى اسْتِحْوَاحَهُمَا فَعَلَيْهِ الْبَيَانُ، وَهِيَاتَ ذَلِكَ.

وَكَوْنُهُمَا مُسْتَبْعَدَيْنِ عَادَةً لَا يَنْهَضُ دَلِيلًا وَلَا شِبْهَ دَلِيلٍ عَلَى الْإِسْتِحْوَاحِ، وَهَلِ الْمُعْجَزَاتُ إِلَّا أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ!!؟

وَلَوْ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ لَا يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْعَادَةِ مَبْنِيٌّ لِلْإِنْكَارِ لَمَا ثَبَتَ مُعْجَزَةُ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَكُلُّهَا خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ.

ثُمَّ مَا قَوْلَ الْمُنْكَرِينَ لِمِثْلِ هَاتَيْنِ الْمُعْجَزَتَيْنِ فِيمَا صَنَعَهُ الْبَشَرُ مِنَ الطَّائِرَاتِ
وَالصَّوَارِيخِ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ؛ أَفَيْسَتَبْعُدُونَ عَلَى مُبْدِعِ الْبَشَرِ وَخَالِقِ الْقُوَى وَالْقَدْرِ
أَنْ يُسَخَّرَ لِنَبِيِّهِ بَرَأَقًا يَقْطَعُ هَذِهِ الْمَسَافَةَ فِي زَمَنِ أَقَلِّ مِنَ الْقَلِيلِ؟!!

وَلَيْسَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مِنْ جِنْسِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ النَّاسُ، حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يُرَادَ
ذَلِكَ! وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: التَّقْرِيبُ لِلْعُقُولِ مِمَّنْ يُنْكَرُ وَنَهْمًا بِمَا هُوَ مُشَاهِدٌ مَلْمُوسٌ،
فَلَيْسَ هَاهُنَا مُقَارَنَةٌ بَيْنَ مَا يَأْتِي بِهِ الْبَشَرُ مِمَّا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ فِي
قُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

أَمَّا شُبُهَةٌ أَنَّ الْمِعْرَاجَ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ كَمَا ذُكِرَ الْإِسْرَاءُ؛ فَيَدْفَعُهَا - مَا
مَرَّ - مِنْ أَنَّ الْمِعْرَاجَ وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ صَرَاخَةً فَقَدْ أُشِيرَ إِلَيْهِ فِيهِ، وَلَوْ
سَلَّمْنَا بَعْدَ ثُبُوتِهِ بِالْقُرْآنِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْإِنْكَارِ؛ فَمَا الْأَحَادِيثُ
إِلَّا مُبَيِّنَةٌ لِلْقُرْآنِ، وَشَارِحَةٌ لَهُ، وَمُتَمِّمَةٌ لَهُ، وَهِيَ الْأَصْلُ الثَّانِي مِنْ أَصُولِ التَّشْرِيعِ
فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

فَلَوْ أَنَّنَا اقْتَصَرْنَا فِي الدِّينِ وَمَسَائِلِهِ عَلَى الْقُرْآنِ وَحْدَهُ لَفَرَطْنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْأَحْكَامِ، وَالْأَدَابِ، وَالْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

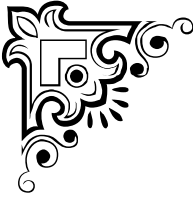
وَأَمَّا شُبُهَةٌ أَنَّ الْمِعْرَاجَ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْخَرَقُ وَالْإِلْتِمَامُ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ؛ فَمَكْرَةٌ
قَدِيمَةٌ عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَانُ، وَأَبْطَلَتْهَا النَّظَرَاتُ الْعِلْمِيَّةُ الْحَدِيثِيَّةُ؛ حَيْثُ انْتَهَى بَحْثُ
الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْكُونَ فِي أَصْلِهِ كَانَ قِطْعَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تَنَاطَرَتْ أَجْزَاؤُهُ، وَانْفَصَلَ
بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ حَتَّى غَدَا مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ كُلُّهُ؛ عَلْوِيُّهُ وَسُفْلِيُّهُ.

وَمَعَاشِرُ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ الْفَاهِمُونَ لَهُ الْوَاعُونَ لِأَصْلِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
يُرْحَبُونَ بِتَقَدُّمِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْكُونِيَّةِ وَالْكَشُوفِ، وَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا
بِاللَّهِ، وَيَقْنِيًا فِيهِ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

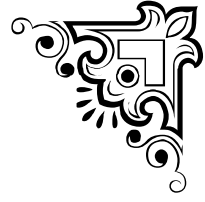
بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ؛ فَعَلَى النَّاسِ أَلَّا يَتَّبِعُوا الشَّيَاطِينَ مِنَ
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عِنْدَ النَّظَرِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْخَوَارِقِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ
ﷺ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِيَزَادَةَ الْإِيمَانَ وَمَزِيدَ التَّصَدِيقِ، لَا إِلَى الْإِنْكَارِ
وَالْجُحُودِ. (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضِرَةُ ٢١)، الْخَمِيسُ ٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ



دَمْعَةٌ عَلَى مَسْرَى الرَّسُولِ ﷺ



هَذِهِ دَمْعَةٌ عَلَى مَسْرَى الرَّسُولِ ﷺ.. يَا قُدْسُ يَا مَدِينَةَ الْأَحْزَانِ، يَا دَمْعَةٌ

كَبِيرَةٌ تَجُولُ فِي الْأَجْفَانِ!

عُذْرًا فِلَسْطِينُ إِذَا^(١) لَمْ نَحْمِلِ الْقُضْبَا^(٢)

وَلَمْ نَقْدُ نَحْوِكَ الْمَهْرِيَّةَ النَّجْبَا^(٣)

عُذْرًا فَإِنَّ سُيُوفَ الْقَوْمِ قَدْ صَدَّاتُ

وَخَيْلُهُمْ لَمْ تَعُدْ تَسْتَمْرِئُ التَّعْبَا

عُذْرًا فَإِنَّ السُّيُوفَ الْيَوْمَ وَآسَفَا

تَخَالَهَا الْعَيْنُ فِي أَغْمَادِهَا حَطْبَا

(١) في الأصل: [إذ].

(٢) (القَضْبُ): اسمٌ يَقَعُ عَلَى مَا قَضَبَتْ مِنْ أَغْصَانٍ لَتَّخِذَ مِنْهَا سِهَامًا أَوْ قِسِيًّا، انظر: «لسان

العرب»: ١/٦٧٨، مادة (قضب).

(٣) (الْمَهْرِيَّةُ): نوع من أنواع الإبل، مَنْسُوبَةٌ إِلَى (مَهْرَةَ): حَيٍّ مِنْ قِضَاعَةٍ مِنْ عَرَبِ الْيَمَنِ،

سُمُّوا بِاسْمِ آبَائِهِمْ: (مَهْرَةَ بَنِ حَيْدَانَ)، وهذه الإبل: لَا يُعَدَّلُ بِهَا شَيْءٌ فِي سُرْعَةِ جَرِيَانِهَا،

وَلَا يَكَادُ يَدْرِكُهَا التَّعْبُ، انظر: «لسان العرب»: ٥/١٨٦، مادة (مهر)، و«المصباح

المنير»: ٢/٥٨٢.

عُذْرًا فَإِنَّ عِتَاقَ الْخَيْلِ (١) مُنْهَكَةٌ

قَدْ أَوْرَثَتْهَا سَيَاطُ الْغَاصِبِ الْوَصْبَا (٢)

عُذْرًا فَلَسَطِينَ إِنْ الذَّلَّ قَيَّدَنَا

فَكَيْفَ نُبْقِي عَلَيْكَ الدَّرَّ وَالذَّهْبَا

عُذْرًا فَقَوْمِكَ قَدْ مَاتَتْ شَهَامَتُهُمْ

وَتَلَّمِ الذَّلَّ مِنْهُمْ صَارِمًا عَضْبَا

رَأُوكِ فِي الْأَسْرِ فَاحْمَرَّتْ عُيُونُهُمْ

لِذَلِكَ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُمْ غَضْبَا

يَسْتَنْكِرُونَ وَمَا يُغْنِيكَ مَا فَعَلُوا

وَيَشْجُبُونَ وَمَا تَدْرِينِ مَنْ شَجَبَا

وَاحْسَرَتَاهُ عَلَى الْأَقْصَى يُدْنِسُهُ

قِرْدٌ وَيَهْتَزُّ فِي سَاحَاتِهِ طَرْبَا

قَدْ كَانَ فِي مَا مَضَى عِزًّا فَوَا كِبِدِي

أَضْحَى أَسِيرًا رَهِينَ الْقَيْدِ مُغْتَصَبَا

(١) (عِتَاقُ الْخَيْلِ وَالطَّيْرِ): كَرَائِمُهَا، وَالْعَتِيقُ: الْكَرِيمُ الرَّائِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، انظر: «لسان العرب»: ٢٣٦/١٠، مادة: (عتق).

(٢) الْوَصْبُ: الْوَجَعُ وَالْمَرَضُ، وَقَدْ يُطْلَقُ (الْوَصْبُ) عَلَى التَّعَبِ وَالْفُتُورِ فِي الْبَدَنِ، انظر: «لسان العرب»: ٧٩٧/١، مادة: (وصب)، و«المصباح المنير»: ٦٦١/٢.

كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَسْرَى الرَّسُولِ وَلَمْ

يُصَلِّ فِيهِ يَوْمُ الصَّفْوَةِ النَّجْبَا

كَأَنَّهُ مَا أَتَى الْفَارُوقُ يُعْتِقُهُ

يَوْمًا وَمَا وَطِئَتْ أَقْدَامُهُ النَّقْبَا

كَأَنَّهُ لَمْ يُؤَذِّنْ لِلصَّلَاةِ بِهِ

بِلَالٍ يَوْمًا فَفَاضَ الدَّمْعُ مُنْسَكِيًا

كَأَنَّمَا الْأَرْضُ قَدْ أَخْفَتْ مَعَالِمَهُمْ

وَمَزَّقَتْ مَا حَوَّوْا مِنْ عِزَّةٍ إِرْبَا

لَهْفِي عَلَى الْقُدْسِ كَمْ جَاسَ (١) الظُّلُومُ بِهَا

وَكَمْ تُقَاسِي صُرُوفَ الدَّهْرِ وَالنُّوبَا

تَعِيثُ فِيهَا الْيَهُودُ الْغُتْمَ مَفْسَدَةً

وَتَزْرَعُ الشَّرَّ وَالْإِرْهَابَ وَالشَّغْبَا

يَسْتَأْسِدُ الْقِرْدُ فِيهَا بَعْدَ خَسَّتِهِ

وَيَرْفَعُ الْهَامَةَ الْخِنْزِيرُ مُغْتَصِبَا

(١) (جاس): أي: طاف بالليل، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، أي: فطأوا في

خِلَالَ الدِّيَارِ يَنْظُرُونَ هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَمْ يَقْتُلُوهُ، انظر: «لسان العرب»: ٤٣/٦، مادة (جوس).

كَمْ أَشْعَلُوا نَارَهُمْ فِيهَا وَكَمْ هَدَمُوا

مِنْ مَنَزِلٍ وَأَهَانُوا وَالِدًا حَدِيبًا^(١)

وَكَمَ أَسْأَلُوا دُمُوعَ الْمُؤْمِنَاتِ ضُحَا

وَكَمَ ظَلَمُوا بَغْيًا أَوْ غَاصِبٍ غَضَبًا

وَكَمَ أَدَارُوا كُؤُوسَ الْمَوْتِ مُتْرَعَةً^(٢)

فَأَيَّمُوا طِفْلَةً أَوْ شَرَّدُوا عَزَبًا

صَبْرًا فَمَا اسْوَدَّ مِنْ ذَا اللَّيْلِ جَانِبُهُ

إِلَّا لِيُؤْذَنَ أَنَّ الْفَجْرَ قَدْ قَرَبَا

إِنْ اسْتَضَاءَ بِنُورِ^(٣) الْحَرْبِ جَمْعُهُمْ

فَعَنْ قَلِيلٍ سَيَغْشَى جَمْعَنَا اللَّهَبَا

لَنْ نَسْتَكِينَ وَلَنْ نَرْضَى بِهَا بَدَلًا

غَدًا نَرُدُّ أَدَانَ الْحَقِّ وَالسَّلْبَا

غَدًا نَعِيدُ فِلَسْطِينَ الَّتِي عَاهَدَتْ

مِنْ قَبْلِ خَمْسِينَ عَامًا دَوْحَةً وَرُبَا

(١) (الحدب): خروج الظهر ودخول البطن والصدر، والمراد: كبير السن الذي صار ظهره

منحنياً، انظر: «لسان العرب»: ١ / ٣٠٠، مادة (حدب).

(٢) (مترعة)، أي: ممتلئة، انظر: «لسان العرب»: ٨ / ٣٢، مادة (ترع).

(٣) في الأصل: [بنار].

غَدَا نَعِيدُ لَهَا التَّكْيِيرَ تَسْمَعُهُ

أُذُنُ الدُّنْيَى وَنُعِيدُ الْفِقْهَ وَالْأَدْبَا

غَدَا نَعِيدُ لَهَا الزَّيْتُونَ نَعْرُسُهُ

غَرَسَا وَنَزَرُغُ فِيهَا التِّينَ وَالْعِنْبَا

غَدَا سَنَنْقَلِعُ مِنْهَا كُلَّ غَرْقَدَةٍ

وَنَضْرِبُ الْهَامَ كَيْ مَا نَقْطَعِ الصَّخْبَا^(١) (*)

مَاذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ الْمَهْدُودُ فِي زَمَنِ الْهَزِيمَةِ

مَاذَا بِخَاصِرَةِ الْقَوَافِي غَيْرِ أَحْزَانٍ قَدِيمَةٍ

مَاذَا بِبَحْرِ الشُّعْرِ غَيْرِ تَلَكُّوِ السُّفْنِ الْعَقِيمَةِ

تَتَجَاذَبُ الْأَمْوَاجُ جُثَّتَهَا وَتُفْتَحُ الْوَلِيمَةِ

وَمُعَلَّقَاتُ حَبْرُهَا الْيَأْسُ الْمُعْرَبِدُ فَوْقَ أَثْدَاءِ دَمِيمَةٍ

وَعِمَامَةٌ لِلْبُحْتَرِيِّ تَرَقَّعَتْ وَهِيَ الْكَرِيمَةِ

(١) قصيدة: (عذراً فلسطين) للشاعر الدكتور أحمد بن عطية الزهراني، نشرت في «مجلة

البيان»: ص ٣١، من العدد (١٥٩)، ذو القعدة: ١٤٢١هـ/ فبراير: ٢٠٠١م.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ وَنَكْبَةَ فِلَسْطِينَ!!» - ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ | ١٨-٥-

مَاذَا عَلَى الْوَتْرِ الرَّضِيعِ يُدَاعِبُ الصُّورَ الْيَتِيمَةَ
 هَلْ تُوقِظُ السَّكْرَانَ صَلْصَلَةَ الْحُرُوفِ
 عَلَى جِدَارِ الْخَوْفِ أَوْ تُحْيِي رَمِيمَهُ
 هَلْ يُرْجِعُ الْأَمْوَاتَ لَطْمًا أَوْ عَوِيلًا أَوْ تَمِيمَهُ
 هَلْ يُرْجِعُ الْغِيَابَ زَمْجَرَةً وَأَشْعَارًا سَقِيمَهُ
 أَوْ هَلْ سَيَاطُ الشُّعْرُ تُلْهَبُ ظَهْرَ لَيْلَاءَ بِهِيمَهُ

يَا وَجْهَ أُمِّي يَا كِتَابًا مِنْ عَبِيرِ
 يَا قُدْسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرِ
 قَوْمِي قَدْ انْطَفَأَ النَّهَارُ
 وَتَاهُ فِي اللَّيْلِ الصَّغِيرِ
 قَوْمِي فَإِنِّي رَاحِلٌ
 زُوَادَتِي قَلْبٌ كَسِيرِ
 مَلَّ الرَّحِيلُ خُطَايَا يَا أُمِّي وَأَنْهَكَنِي الْمَسِيرِ
 يَا قُدْسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرِ
 زَيْتُونَةٌ تَرْنُو لِعَيْنِ الشَّمْسِ تَقْتَاتُ الْعَبِيرِ

رُمَّانُ حَدِيثِهَا تَأَلَّقَ فَوْقَ أَكْتَاFِ النُّجُومِ
يَافَا تُدَاعِبُ فِي ضَفَائِرِهَا الْكُلُومِ
حَيْفَا تُنَادِي عُمَرَهَا أَقْبِلْ بِسَيْفِ صَارِمِ الْقَسَمَاتِ هِنْدِيٍّ صَمِيمِ
يَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الْمُلْتَمِمْ بِالْهُمُومِ
دَعْنِي أُعْبِي مُقْلَتِي بِضَوْئِهَا دَعَهَا تَقُومِ
أَرُوي صُخُورَكَ بِالنَّدَى الْمَرْخُورِ فِي عُمُقِي تُخُومِ
وَأَعَانِقُ السَّرْوِ الَّذِي تَكَلَّتْهُ أَضْلَاعِي عَلَيَّ وَجْهَ الْأَدِيمِ
دَعْنِي أَقْبِلْ رَاحَتِيهَا تَنْجَلِي ظُلْمَ الْوُجُومِ

يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرِ
يَا دُمْلًا فِي الْقَلْبِ يَا وَجَعَ الضَّمِيرِ
الصَّخْرُ يَبْكِينَا وَأَبْكِيهِ فَتَرْتِينَا الْقُبُورِ
وَالْعَارُ فَوْقَ قِبَابِكِ الشَّمَاءِ طَاحُونَ يَدُورِ
وَأَنَا أَدُورُ
لَا الْأَسْدُ تَعْرِفُ سَاحَتِي وَلَا تَيَمَّمْنَا النَّسُورِ
وَقَبَائِلُ الْأَعْرَابِ لَا كَرَمٌ وَلَا حَتَّى سَرِيرِ

يَتَنَاوَبُونَ عَلَيَّ يَا أُمَّي كَجَلَادٍ حَقِيرٍ

وَيُذَبِّحُونِي كَمَا تَعُودُ الْقُدْسُ

هَذَا مِنْ طَلَّاسِمِهِمْ فَهَلْ فَهَيْتُ حَمِيرٍ!!؟

قَدْ فَارَقْتُ عَيْنَايَ أَحْدَاقِي

أَفْتَشُّ عَنْ نَصِيرٍ

أَيْنَ الْجِيُوشِ الْيَعْرَبِيَّةِ!!؟

وَالنَّفْطُ أَيْنَ النَّفْطُ!!؟

ضَاعَ وَمَا لِمَوْقِدِنَا بَقِيَّةً

يَا قُدْسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرُ

يَا وَجْهَ أُمَّي يَا كِتَابًا مِنْ عَبِيرِ

كُلُّ الطُّيُورِ تَعُودُ فِي ذَيْلِ النَّهَارِ

كُلُّ الْوُحُوشِ تَعُودُ لِلْأَوْكَارِ

إِلَّا أَنَا يَا قُدْسُ أَخْطَأَنِي الْقِطَارُ

يَا قُدْسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرُ
يَا بَلَدَةَ الشَّرَفِ الْعَرِيقَةَ
وَأَنَا غَرِيبٌ فِي بِلَادِي لَا حَقُونِي بِالْوَثِيقَةِ
وَالرَّعْدُ بَيْنَ جَوَانِحِي أَخْفَى بَرِيقَهُ
وَالْخَيْرُ أَنْثَرَهُ عُلُومًا وَدَوَاءً وَحَدِيقَهُ
عَجَبًا لَهُ الْمَطْرُودُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ
غُلُوهُ كَيْمَا يُسْتَبَاحُ عَلَى الدُّرُوبِ كُلِّهَا حُقُوقَهُ
اسْتَنْزَفُوا أَحْلَامَهُ أَوْلَادَهُ رَايَاتِهِ مُصَوِّمُوا عُرُوقَهُ
سَبَعُونَ سَيْفًا فِي الشَّرَايِينِ الدَّقِيقَةِ
وَابْكُوهُ فِي الْمَذْيَاعِ فِي الصُّحُفِ الرَّفِيقَةِ
وَلْتَنْصُرُوهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِالْعِبَارَاتِ الرَّقِيقَةِ
وَلْتَعَشَقُوهُ فِي الْخُطْبِ
يَا بَذْرَةَ لِأَبِي لَهَبٍ
يَا أُمَّةَ حَمَالَةَ الْحَطَبِ
هَلْ فَرَّقَتْ دَمِي الْقَبَائِلُ يَا عَرَبَ
سَبَعُونَ سَيْفًا فَوْقَ نَحْرِ الْفَجْرِ تَقْتَحِمُ الصَّبَاحَ

سَبْعُونَ سَيْفًا تَمْتَطِي ظَهْرَ الرِّيَّاحِ
حَتَّى إِذَا مَا فَارَقْتَهُ الرُّوحُ هَبُّوا بِالنَّوَّاحِ
سَبْعُونَ سَيْفًا بِالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
قُلْنَا هُدَى الْإِسْلَامِ قَالُوا يَعْرَبِيَّةِ
قُلْنَا هُدَى الْإِسْلَامِ قَالُوا اشْتِرَاكِيَّةِ
قُلْنَا هُدَى الْإِسْلَامِ قَالُوا وَقَعِيَّةِ
سَبْعُونَ سَيْفًا بِالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ

قَالُوا تَبَقَّى مِنْهُ صَوْتٌ وَنَعَمُ
فَنُرِيدُ جُثَّتَهُ بِلَاءٍ أَوْ نَعَمُ
وَنُرِيدُ جُثَّتَهُ عِلْمُ
وَنُرِيدُ نِسْوَتَهُ خَدَمُ
وَنُرِيدُ هَامَتَهُ قَدَمُ
وَنُرِيدُ عَبْرَتَهُ خِضَمُ
وَنُرِيدُ إِصْبَعَهُ قَلَمُ
وَنُرِيدُهُ أَبَدًا رَقَمُ

وَنُرِيدُهُ أَبَدًا عَدَمٌ
 وَلَا نُرِيدُ بِهِ نَدَمٌ
 لِيُظَلَّ فِي الْكُتُبِ الصَّقِيلَةِ مُتَّهَمٌ

يَا قُدْسُ يَا أَحْلَى بَلَدٍ
 نَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَحَدِ
 مِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ
 مِنْ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ
 مِنْ أَسْوَدٍ وَمِنْ أَسَدٍ
 مِنْ قِمَّةٍ فِي جِيدِهَا حَبْلُ مَسَدٍ
 فِي رَأْسِهَا كُلُّ الْعُقَدِ
 فِي قَاعِهَا شَعْبٌ رَقَدَ
 نَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَحَدِ
 مِمَّا نَعَانِي أَوْ نَجِدُ
 مِنْ إِخْوَةٍ مِثْلِ الزَّبَدِ
 صَارُوا عَيْونًا مِنْ رَمَدٍ

يَا خَالِقَ الْأَقْصَى مَدَد

يَا خَالِقَ الْأَقْصَى مَدَد

يَا مَسْجِدَ الْأَقْصَى بِمَنْبَرِكَ الْقَوَافِي تَتَّحِدُ

فَلْتُعْطِنِي لَهَبًا بِعَيْنَيْكَ يَتَّقِدُ

يَا قُدْسُ يَا أَحْلَى بَلَدُ

فَلْتَمْنَحْنِي نَشْوَةَ الْفُرْسَانِ فِي عَيْنِ الْوَلَدِ

وَلْتَمَسَّحِي بِيَدَيْكَ أَجْفَانَ الْكَبِدِ

وَلْتُرْزِعِي فَوْقَ الشِّفَاهِ الْمُجْدِبَاتِ الشُّعْرَ يَا قُدْسُ وَتَدِ

نَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَحَدِ

مِنْ شَاعِرٍ لَأَكَّ الْقَصِيدَةَ

مِنْ كَاتِبٍ قَاءَ الْجَرِيدَةَ

أَوْ قَائِدٍ دُونَ عَقِيدَةَ

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ

مِنْ مَا جِنِّ أَوْ مِنْ خَلِيعِ

مِنْ كُلِّ مَنْ بَاعَ وَبِيعِ

يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرَ

يَا قُدُسُ هُمْ أَعْدَاؤُنَا

يَا قُدُسُ سَوْفَ تَدُو سُهُمْ أَقْدَامُنَا

يَا قُدُسُ تَعْلُو فِي السَّمَاءِ رَايَاتُنَا

سُورِيَّةٌ مُضْرِيَّةٌ نَجْدِيَّةٌ فِي الْمَيْمَنَةِ

مِصْرِيَّةٌ لَيْبِيَّةٌ فِي الْمَيْسَرَةِ

كُرْدِيَّةٌ فِي الْقَلْبِ عِكْرَمَةٌ لَهَا أَوْ حَيْدَرَةٌ

يَا قُدُسُ كُنْتَ الْمَفْخَرَةَ

يَا قُدُسُ لِلْأَوْغَادِ أَنْتِ الْمَقْبَرَةُ

يَا قُدُسُ هُزِّي الشَّجَرَةَ

فِي مَسْجِدِ الْفَارُوقِ يَسْجُدُ مَيْسَرَةَ

وَأَخِي خَلِيلٌ سَارَ يَتْبَعُ مُنْذِرًا

وَشَبَابُنَا كَالسَّيْلِ جَاءُوا أَنْهَرًا

يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرَ

يَا وَجْهَ أُمِّي يَا كِتَابًا مِنْ عَبِيرَ

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الزَّمَنِ الْمَرِيرِ

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ!!؟

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ!!؟

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الزَّمَنِ الْمَرِيرِ!

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ!!؟

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ!!؟(*) .



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرُ!» - الْأَرْبَعَاءُ ٣٠ مِنْ شَعْبَانَ

١٤٣٩هـ/١٦-٥-٢٠١٨م.

اِخْتِصَاصُ اللَّهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِنَ الْفَضَائِلِ

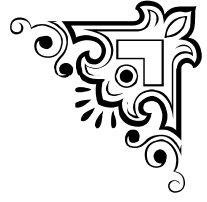
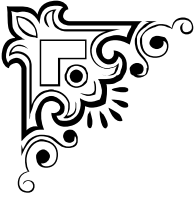
عِبَادَ اللَّهِ! مَا أَكْثَرَ مَا حَبَى اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَضَّلَهُ، وَخَصَّهُ -سُبْحَانَهُ-
بِأَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ وَأَعْطَاهُ!

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَصَائِصَ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ، وَفَضَّلَهُ بِفَضَائِلَ لَمْ تَكُنْ
لِغَيْرِهِ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْهَبَاتِ مَا لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ؛ فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضِرَةُ ٥٥)، الْخَمِيسُ ٢ مِنْ رَبِيعِ



الفهرس

- ٣ مُقَدِّمَةٌ
- ٤ رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فِي غَمْرَةِ أَحْزَانِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَرْسَلَةِ
- ٨ ثُبُوتُ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
- ١٧ الْمَقْصُودُ بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ١٩ مَعَانِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ الْعَمِيقَةُ وَمَرَامِيهَا الْبَعِيدَةُ
- ٢١ قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ٦٥ مَتَى وَأَيْنَ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟
- ٦٧ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ بِجَسَدِ الرَّسُولِ ﷺ وَرُوحِهِ يَقْطَعُ
- ٧٠ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ
- ٧٢ الرَّدُّ عَلَى شُبُهَاتِ الزَّائِعِينَ حَوْلَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ٧٨ دَمَعَةٌ عَلَى مَسْرَى الرَّسُولِ
- ٩١ اخْتِصَاصُ اللَّهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِنَ الْفَضَائِلِ